مأمون كيوان

اليهود في إيران



موضوع الكتاب

الكشف عن خلفيات الاهتمام الإسرائيلي الحالي بيهود إيران، وعن عوامل الدفع والجذب التي تشكل بمجموعها الصورة العامة للوجود اليهودي في إيران. وهذه العوامل سواء أكانت عوامل طاردة أم جاذبة هي عوامل ذاتية تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصاديـــة ناجمة عن تطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إيــران، وعوامــل موضوعية تتعلق بعلاقة الدولة الإيرانية بجوارها الإقليمي وبالعالم الخارجي من جهة، وبطبيعة العلاقة بين يهــود إيران ويهود العالم وبضفة خاصة باليهود الذين يعتبرون إسرائيل دولتهم وكيانهم السياسي-الديني من جهة ثانية، وتتعلق - هذه العوامل - من جهة ثالثة بالدور الذي مارستــه المنظمــات الضهيونية، في مراحل مختلفة، في أوساط يهود إيران.

Designed & Printed by Idea Adv. 01/ 815 420

مأمون كيوان

اليهود في ايران

بيسان

❖ اليهود في ايران

* تأليف: مأمون كيوان

* الطبعة الأولى: أيار 2000 م.

* الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام

■ ص. ب 13-5261 بيروت ـ لبنان

■ هاتف: 351291 ـ فاكس 961-1-747089

مقدمة

تحتل إيران أو ماكان يعرف سابقاً ببلاد فارس أو الإمبراطورية الفارسية حيزاً هاماً في التاريخ اليهودي القديم، ففيها عُرف في مرحلة السبي البابلي ما يُسمى بالعصر الذهبي لليهود الذي رعاه الإمبراطور كوروش. وهذا العصر الذي ازدهرت فيه أوضاع اليهود على كافة الصعد شكل بداية مرحلة هامة في التاريخ الديني والسياسي لليهود وعلى أساسها ظهرت فرق وطوائف يهودية متعددة وفي الآن ذاته تعرضت مكانة ما يدعى بـ «أرض اسرائيل» لبعض التحويرات والاجتهادات وذلك بسبب خلافات حول طبيعة توصيف مرحلة التواجد اليهودي في بلاد الفرس، وهل تنطبق عليه صفة «المنفى القهري» -الجالوت- أو «المنفى الاختياري» - التفوسوت - أم أن هذا التواجد كان بداية مرحلة تشكل ظاهرة يهود الشتات - الدياسبورا- وفق المصطلح اليوناني؟

وبطبيعة الحال ليس هدفنا الخوض في هذه الخلافات القديمة وبحث درجة أهميتها الدينية أو التاريخية راهناً بالنسبة لليهود في إيران أو بالنسبة للحاخامية الكبرى في إسرائيل أو بالنسبة للمنظمات الصهيونية العاملة في حقل دفع يهود إيران للهجرة إلى إسرائيل، إنما يتمحور هدفنا في الإشارة السريعة لهذا الوجود اليهودي في إيران بما يخدم موضوع الكتاب وهدفه المتمثل في الكشف عن خلفيات الاهتمام الإسرائيلي الحالي بيهود إيران، وعن عوامل الدفع والجذب التي تشكل بمجموعها الصورة العامة الراهنة للوجود اليهودي في إيران. وهذه العوامل سواء أكانت عوامل طاردة أم جاذبة هي عوامل ذاتية تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية ناجمة عن تطور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إيران، وعوامل موضوعية تتعلق بعلاقة الدولة

الإيرانية بجوارها الإقليمي وبالعالم الخارجي من جهة، وبطبيعة العلاقة بين يهود إيران ويهود العالم وبصفة خاصة باليهود الذين يعتبرون إسرائيل دولتهم وكيانهم السياسي – الديني من جهة ثانية، وتتعلق –هذه العوامل– من جهة ثالثة بالدور الذي مارسته المنظمات الصهيونية، في مراحل مختلفة، في أوساط يهود إيران.

ولتحقيق غاية الكتاب، كان لا بد من التمهيد لفصوله الأربعة بعرض مكثف لتغيرات واقع الدولة الإيرانية، المتمثلة بتغير النظم السياسية وأثر ذلك على أوضاع اليهود في إيران. ويلي التمهيد فصل يتم البحث فيه في تطور مختلف الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والدينية لليهود في إيران حتى الوقت الراهن (1998). وفي الفصل الثاني يتم البحث في أشكال النشاط الصهيوني في إيران في مراحل متعاقبة. ويلي ذلك الفصل الثالث حيث تتم فيه معالجة جذور الاهتمام الإيراني بالقضية الفلسطينية وتطورات الأوضاع في فلسطين قبل وبعد الإعلان عن قيام إسرائيل. وفي الفصل الرابع يتم البحث في العلاقات الإسرائيلية – الإيرانية التي ازدهرت في عهد الشاهنشاية، ويحاول الإسرائيليون راهنا إعادتها إلى ذلك المسار تحت ذرائع مختلفة وعبر إنتهاجهم لسياسة تمزج بين أساليب الترغيب والترهيب و«الاحتواء المزدوج» ولكن على الطريقة الإسرائيلية.

وبهذا، يمكن تحديد تغيرات أوضاع الوجود اليهودي في إيران بين عصرين متمايزين عن بعضهما البعض سواء لجهة التغيرات والتقلبات السياسية التي شهدتها إيران خلال قرن من الزمن أو لجهة الدور الإقليمي الإيراني ومساهمته ودفعه أو إعاقته لعملية تسوية الصراع العربي – الصهيوني إنطلاقا من أسس دينية وأيديولوجية وسياسية تعبر بمجموعها عن الرؤية الإيرانية لجوارها الإقليمي وللعالم.

آمل أن تشكل هذه المساهمة التي مزجت بين العرض والتحليل لأوضاع يهود إيران بين العهدين: الشاهنشاهي والجمهوري الإسلامي، إضافة جديدة، ونموذجاً لدراسة التحولات التي طرأت على أوضاع اليهود في مختلف البلدان الإسلامية، ومقدمة لتحديد دور اليهود في دفع حكومات بلدانهم نحو إقامة روابط وثيقة مع إسرائيل أو العكس من ذلك.

المؤلف

صيف 1998

تمهيد

منذ ظهور الدولة الإيرانية قبل نحو 25 قرنـــاً، شـــغل نظـــام الحكـــم الإمبراطوري حيزاً كبيراً من تاريخ هذه الدولة إذ تعاقب على حكمـــها نيــف وخمســـون أسرة إمبراطورية وهذا ما جعل الإمبراطوريـــة الفارســية تبــدو كالكرة يتلقفها كل إمبراطور يتملك من القوة والدهـــاء نصيباً كبيراً. لكن هـــذا لم يشكل عائقاً أمام سقوط مئات الملوك صرعى غيلة أو في ساحات القتال من جهة ولم يعنِ أن الرعية كانت تكن العداء المطلق لملوكها من جهة أخـــرى إذ أن كلمة أريامهر التي أطلقها المجلس النيابي ومعناها محبوب الشعب دخلـــت القاموس الإيراني في القرنين السابع عشر والثامن عشـــر، وتـــم اســـتخدامه لاحقاً وبشكل متقطع منذ العام 1700 إلى العام 1972، فخـــلال هـــذه الفـــترة حكمت إيران خمس أسر ملكية هي: الصفوية، والأفشار، والزند، والقاجـــار، وآل بهلوي إستحقت بعضها أن يُطلق على زعيمها لقب أريامهر في حين لـــم يُطلق هذه اللقب على ملوك آخرين. وقد بلغ عدد الملوك الذين تربعـــوا علـــى عرش إيران خلال هذه الفترة أحد عشر ملكاً قضى الشعب الإيرانـــي علـــى بعضهم بالقتل وعلى بعضهم الآخر بالعزل والنفي. «فالشـــاه سلطان حســـين قُتل شر قتلة، ونادر شاه الذي خلفه كان مصيره محزناً مثله، ثم قُتل آغا محمد خان القاجار، كما قتل ناصر الدين شاه، أما محمد علي شاه وابنه أحمـــد شـــاه ورضا بهلوي فقد أبعدوا إلى خارج البلاد ليموتوا كمدا وحزنا»[1]. رغـــم أن رضا شاه أصدر مرسوما إمبراطوريا في العام 1936 يقضي باســـتبدال اســـم فارس باسم إيران نسبة إلى القومية الآرية التي يعتقـــد أن القوميـــة الفارســـية

---

[1] موسى الموسوي، إيران في ربع قرن، 1970 (دار النشر ومكان النشر غـــير مذكوريـــن)، ص168.

تتحدر منها. وذلك في محاولة منه لربط وجود إيران الحديث بوجودها قبل الإسلام، هذا الوجود الذي تعاظمت أهميته في العصر الحديث جنوب غرب آسيا، ويحدها شمالاً بحر قزوينه (يدعى أحياناً بالبحر الأخضر) وبلاد القفقاس وتركستان وروسيا، ويحدها من الشرق والجنوب الشرقي كل من أفغانستان وباكستان ومن الغرب والشمال الغربي كل من العراق وتركيا، ويحدها جنوباً الخليج العربي.

بطبيعة الحال ولأسباب ذاتية وموضوعية لم يستطع المرسوم الإمبراطوري والسياسات الداخلية والخارجية الشاهنشاية المرافقة له تجاوز الإرث والعامل الحضاري الإسلامي الذي شغل حيزاً هاماً في تاريخ إيران، إذ سرعان ما ظهرت، مفاعيل هذا العامل جلية مع نشوب الثورة الإسلامية في إيران وبناء الجمهورية الإسلامية لجهة إدراك البنية الفسيفسائية للمجتمع الإيراني المتعدد القوميات والإثنيات واللغات، فإلى جانب الغالبية الفارسية التي نسبتها 61% من السكان هنالك الأتراك الأذربيجانيون الذين يشكلون نسبة 24%، والأكراد ويشكلون نسبة 9%، والعرب 2.5% والتركمانيون 1.5%، والأرمن والآشوريون واليهود يشكلون النسبة الباقية[2].

أما التعدد اللغوي فيظهر من خلال تحدث 50.2% من السكان اللغة الفارسية، و20.6% اللغة الأذربيجانية، و5.6% اللغة الكردية، و2.3% اللغة البلوشية، و3.7% اللغة العربية، و1% اللغة التركمانية، و0.6% اللغة الأرمنية، و0.4% اللغة الآشورية. ويضاف إلى ذلك وجود لهجات قريبة من الفارسية منها لهجة اللور البختارية وتشكل حوالي 4.6% واللهجة الكَليكَلية

---

[2] منال لطفي، القوى الاجتماعية الصاعدة في إيران، مجلة «السياسة الدولية»، العدد 130، اكتوبر 1977، ص66.

وتشكل نسبة مستخدميها 5.6%، والمازاندراتية ونسبة الناطقين بها 4.9% من سكان إيران[3].

ومن جهة أخرى لم تستطع السياسات الداخلية وكذلك الخارجية التي انتهجتها أسرة بهلوي ضمان مكانة متميزة لإيران خارج محيطها الجيوبوليتيكي والحضاري الطبيعي، ناهيك عن معالجة مشكلات وهموم المجتمع الإيراني سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية. فحصاد تلك السياسات الشاهنشاهية كان مزيجا من محاولات بعض الضغائن والأحقاد والعداء مع الجوار ولا سيما العربي، وهدر ثروات الشعب الإيراني وأفقاره.

وفي الاتجاه المعاكس، نشأ منذ العام 1979، نظام حكم جديد في إيران وصفه (دستور) القانون الأساسي لجمهورية إيران الإسلامية في المادة الأولى منه أنه «نظام الحكم في إيران هو الجمهورية الإسلامية»، وفيما تبين المادة الثانية أهمية قيام نظام الجمهورية على أصول الدين وسبل توفير القسط والعدالة والاستقلال والحرية للإنسان في إيران من خلال مبدأي الاجتهاد المستمر والاستفادة من العلوم وفنون المعرفة البشرية وإقرار مبدأ محو الظلم والقهر ورفض الخضوع لهما بشكل مطلق. فإن المادة السابعة والخمسين تنص على «إن السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي عبارة عن القوة التشريعية والقوة التنفيذية والقوة القضائية حيث تمارس صلاحياتها تحت إشراف الولاية المطلقة للفقيه وإمام الأمة وفقا للمواد اللاحقة لهذا القانون، وتعمل هذه السلطات مستقلة عن بعضها البعض»[4].

---

[3] فريد هوليداي، مقدمات الثورة في إيران، دار ابن خلدون، بيروت 1979، ص26.

[4] لمزيد من التفاصيل، راجع مقالة محمد صادق الحسيني، «صنع القرار في إيران وتركيبة النظام الإسلامي»، مجلة «شؤون الشرق الأوسط»، العدد 54، آب 1996 ص7.

ونظرا لحداثة هذا النمط من نظام الحكم ولطبيعة تعقيدات الظروف السياسية والتحديات الخارجية التي واجهتها إيران في العقدين الآخيرين، لم يخضع نظام الحكم في إيران بدقة للتصفيات السياسية التقليدية من قبيل اليسار واليمين والمعتدل والمتشدد والمحافظ والليبرالي، وكذلك الحال بالنسبة لمؤسساته التي لا يمكن القول أنها خاضعة للتقسيم التقليدي الثلاثي، مؤسسة تشريعية؛ ومؤسسة تنفيذية، ومؤسسة قضائية. كما أن تقسيم المؤسسات الحاكمة إلى مؤسسات دينية وأخرى سياسية يتصادم وخصوصية نظام الحكم الإيراني الذي تتداخل فيه المؤسسات الدينية والسياسية على نحو يكون من العسير فيه التمييز بينهما، فكل المؤسسات تمتزج فيها الصفتان الدينية والسياسية وذلك مع أن بعضها تغلب عليه الصفة الدينية والبعض الآخر تغلب عليه الصفة السياسية، لذا يمكن القول أن هناك مؤسسات دينية سياسية وهناك مؤسسات سياسية دينية. وتندرج تحت النوع الأول أربع مؤسسات أساسية هي: ولاية الفقيه؛ ومراجع التقليد؛ الحوزات العلمية؛ ومجلس الخبراء. أما مؤسسات النوع الثاني (السياسية الدينية) فهي: رئاسة الجمهورية؛ ومجلس تشخيص مصلحة النظام؛ والمجلس الأعلى للأمن القومي؛ ومجلس الشورى (البرلمان)؛ ومجلس صيانة الدستور[5].

هذا التدخل في أوجه نشاط مؤسسات الحكم في إيران المتلازم مع تعقيدات الظروف السياسية والمتغيرات الإقليمية والعالمية أفضى بالضرورة إلى حدوث تحولات في مجال السياسة والثقافة والمجتمع في إيران بدت ملامحها الأولية في عهد الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني (الرئيس الحالي لمجلس تشخيص مصلحة النظام) وتسارعت وتيرة عملية تبلورها مع انتخاب محمد خاتمي رئيسا للجمهورية في شهر أيار 1997 خلفا للرئيس

---

[5] لمزيد من الإطلاع، راجع مقالة عمرو عبد الكريم، «تمايزات النخبة الدينية الحاكمة في إيران»، مجلة «السياسة الدولية»، العدد 130، اكتوبر 1997، ص59.

رفسنجاني التي انتهت فترة ولايته الرئاسية الثانية، ولا يحق له بموجب الدستور ترشيح نفسه لفترة ولاية رئاسية ثالثة. وهذه التحولات الجارية، وعلى غرار إنقلابات أو أزمات شهدها النظام الشاهنشاهي السابق تعكس ذاتها على أوجه النشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي في إيران وتتأثر بها سلبا وإيجابا مختلف الفئات والشرائح الاجتماعية والقوميات والأثنيات المكونة للمجمتع الإيراني. كما تشكل هذه التحولات الطبيعية أو القسرية مدخلا لتدخلات خارجية إقليمية أو دولية قد تؤدي إلى نتائج سلبية، في غالب الأحيان، وإيجابية أحيانا على هكذا مجتمع. فكيف ستكون المسارات المستقبلية للتحولات الجارية في إيران في حال كان التدخل الخارجي يتخذ شكل سياسة «الاحتواء المزدوج» من جهة الولايات المتحدة الأميركية وسياسة «الترغيب والترهيب» أو «العصا والجزرة» من جهة الكيان الصهيوني وتحت ذرائع مختلفة منها «الخطر النووي الإيراني» أو «الرعب الأخضر» (الإسلامي)، وإنقاذ «الجالية» أو الجماعة اليهودية الإيرانية التي تشكل راهنا أكبر أقلية دينية – إثنية يهودية مقارنة بالأقليات اليهودية التي إضمحلت أو اندثرت في غالبية دول الشرق الأوسط أو للدقة الدول العربية والإسلامية؟

الإجابة الجزئية على السؤال آنف الذكر تتطلب، بصورة موضوعية، البحث في واقع الوجود اليهودي في إيران في عهود تاريخية سابقة، إذ يزعم أن وجود الجماعة اليهودية في إيران يعود إلى قرابة 2500 عاما. وفي غالب العهود كانت صورة اليهود في إيران غير واضحة المعالم، لكنها مع حلول القرن العشرين بدأت تتوضح صورتها شيئا فشيئا وذلك في ظل حدوث متغيرات جذرية في نظام الحكم والسائد، آنذاك، كانت فاتحتها وضع دستور للبلاد في عام 1906–1907 وتشكيل مجلس نيابي، وهذا الدستور الذي اعتبر المذهب الشيعي الجعفري هو دين الدولة ومنح رجال الدين الشيعة حق إلغاء كل قانون يتعارض مع المذهب الشيعي، لم يمنح اليهود والمسيحيين أي تمثيل في المجلس النيابي. ويمكن القول أن التاريخ المعاصر الإيراني قد سجل

أو مشـــكلة مع اليهود الإيرانيين، وذلك عندمـــا جــرت أول انتخابــات لأول برلمان في البلاد. ولما كان قانون الإنتخاب قــد أهمل ذكر المذهـــب الــذي ينتمي إليه النواب. لأن جميع النواب كانوا من المســـــلمين طــالب اليــهود كغيرهم من الأقليات بتمثيل داخل البرلمان غير أن رجـــال الديــن المســلمين رفضوا ذلك، وقد حدثت مشكلة كبرى كادت أن توجد الانشقاق بين قادة الثورة الدستورية، ولكن في اللحظة الأخيرة تم التبـــاحث مــع زعمـــاء النصـــارى والزرادشت واليهود على أن يدخل المجلس النيابي رجل دين مسلم كممثل لهم، فدخل السيد عبد الله بهبهاني بمثابة نائب عن اليهود والسيد محمـــد طباطبـــائي نائبا عن المسيحيين، وكان هذا الإجراء إجراء فريدا من نوعـــه فـــي تـــاريخ الحركة الدستورية.

وفي عهد رضا شاه تحسن وضع اليهود إلى حد ما، فعند تسلمه السلطة عام 1925، سن مجموعة من القوانين المدنية، منها تشكيل محاكم حديثة تســتند إلى مجموعة من القوانين المدنية، فاستغل اليـــهود الإيرانيــون أجــواء هــذه التغييرات وطالبوا بحقوقهم، وبســبب الدعم الخارجي حصـــل اليـــهود علـــى تحـــديد مكانتهم في المجتمع الإيراني، وبذلك يمكن القول أنه في عهد رضـــــا شـــاه حددت المكانة القانونية لليهود، فبموجب القوانين الصـــادرة فـــي ذلـــك العهد، تمتع جميع المواطنين الإيرانيين بغض النظر عن انتمـــاءهم الدينـــي أو «العرقي» -الأثني- بكافة الحقوق القانونية هذه الحقوق التي كـــانت ممنوحـــة للمسلمين فقط، إلا أنه لا يستطيع اليهودي أن يكون رئيس وزراء أو قاضي أو عضوا في مجلس الشيوخ، ولا يحق لليهود المشاركة في الانتخابـــات كـــأفراد وإنما كطائفة ولهم مقعد واحد في البرلمان[6]. وجاء هذا التحديد لمكانة اليـــهود في إيران بعد أن شهدت إيران في الفترة الواقعة بيـــن عـــامي 1900-1907

---

[6] طلال مجذوب، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد - بـيروت 1980، ص177-178.

أحداثا هامة تمخضت عن قيام البرلمان الإيراني لأول مرة في تاريخ إيـــران. هـــذه الأحـــداث التي استثمرها لاحقا الشاه رضا بـــهلوي واســـتغلها اليـــهود بطبيعة الحال لكونهم كانوا في العهود السابقة ممنوعين من تولـــي المنـــاصب العلمية ودخول الجيـــش، وكان غير مســـموح لهم ببناء منـــازل أعلـــى مـــن منازل المسلمين المجاورين لهم، وفيما اخالف ذلك أحد اليـــهود فـــي شـــيراز هاجمه المسلمون وكادت تحدث مذبحة لولا أن حسمها العقلاء[7].

أما في عهد الجمهورية الإسلامية في إيران فقد حدد دستور الجمهورية الإسلامية رؤية متقدمة للأقليات والمجموعات الأثنية المستقرة تاريخيـــا فـــي إيران. إذ نصت المادة الثالثة عشرة على أن «الإيرانيون الزرادشت واليـــهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية والمعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراســـمها الدينية ضمن نطاق القانون. ولها أن تعمل وفـــق قواعدهـــا فـــي الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية». وأوضحت المادة الرابعة عشرة «... عل حكومة جمهورية إيران الإسلامية وعلى المسلمين أن يعاملوا الأشخاص غـــير المسلمين بالأخلاق الحسنة والقسط والعدل الإسلامي، وأن يراعـــوا حقوقـــهم الإنسانية [لكن] تســـري هذه المادة على الذين لا يتآمرون ولا يقومـــون بـــأي عمل ضد الإسلام أو ضد جمهورية إيران الإسلامية». فيما أجـــازت المـــادة الخامسة عشرة للأقليات الدينية والقومية «استعمال اللغات المحليـــة والقوميـــة الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدريـــس آدابـــها فـــي المدارس إلى جانب لالغة الفارسية». ولجهة حقوق الأقليات ورد فـــي المـــادة التاسعة عشرة أنه «يتمتع أفراد الشعب الإيراني... من أية قومية أو عشـــيرة كانوا بالمساواة في الحقوق ولايعتبر اللون أو العنصر أو اللغة أو ما شابه ذلك سببا للتمييز». وورد في المادة الثالثة والعشرون أن «العقائد مصونة ولا يجوز التعرض لأحد لمجرد اعتناقه عقيدة معينة». وفيما يتعلـــق بشـــكل الأحـــزاب

---

[7] المصدر السابق ص196.

والجمعيات والهيئات السياسية والنقابية أباحت المـــادة السادســـة والعشـــرون للأقليات والجماعات الأثنية الانخراط فيها أو تشكيلها شريطة أن «لا تتنـــاقض وأسس الاستقلال والحرية والوحـــدة الوطنيـــة، والقيـــم الإســـلامية وأســـاس الجمهورية الإسلامية، كما أنه لايمكن منع أي شخص من الإشتراك فيـــها، أو إجباره على الإشتراك في أحدها».

أما تمثيل الأقليات الدينية المعترف بها في مجلس الشورى (البرلمـــان) فحددته المادة الرابعة والستون من الدستور بـــ «ينتخب الزرادشت واليهود كل على حدة نائبا واحدا، وينتخب المسيحيون الأرمن في الجنوب والشـــمال كـــل على حـــدة نائبا واحدا، وفي حالة ازدياد أفراد أي من الأقليات فإنه تتم بعـــد كل عشر سنوات إضافة نائب واحد عن كـــل مائـــة وخمســـين ألـــف نســـمة إضافية»[8].

إن الاستناد إلى النصوص الدستورية فقط لا يشكل أساسا صالحا لفـــهم عملية صعود أو هبوط، استقرار أو عدم استقرار أية فئـــة اجتماعيـــة داخـــل المجتمع، وهذا ما ينطبق أيضا على الأقليات الدينية والجماعـــات الأثنيـــة أو القومية، ففي النموذج الإيراني مثلا، وفي مجـــال بحثنا فـــي أوضـــاع يـــهود إيران، يبرز تأثير أربعة عوامل في تحديد مكانة ودور هذه الأقلية الدينية فـــي المجتمع الإيراني، وهذه العوامل هي:

أولا: العامل السياسي، الذي يعبر عن عمليـــة الحـــراك السياســـي وصـــراع التيارات السياسية والدينية داخل إيران على خلفية قضايا فقهية، والتعددية

---

[8] الاقتباسات ونصوص المواد الدستورية الواردة مأخوذة عن دستور الجمهوريـــة الإســـلامية الإيرانية (مع دليل وفهارس وضعها علي أنصاريان) إصدار المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق 1985.

السياسية، وأشكال تطوير النظام السياسي السائد وفصل السلطات والحد من الآثار السلبية الناتجة عن تداخل عمل المؤسسات السياسية والدينية.

ثانيا: العامل الاقتصادي، ويتمثل بصورة الوضع الاقتصادي وطبيعة الأزمة الاقتصادية التي تعانيها إيران لجهة ارتفاع معدلات البطالة، واتساع الفجوات بين الطبقات والفئات الاجتماعية الفقيرة والغنية، وإمكانية الربط أو الفصل بين أسلحة الاقتصاد أو تحريره وبناء على هذه الإمكانية يتحدد الخيار الاقتصادي الذي على أساسه تتحدد سبل وأشكال حل الأزمة الاقتصادية أو التخفيف من حدتها.

ثالثا: العامل الاجتماعي، ويظهر في ازدياد متطلبات الشباب الإيراني، وضرورات تطوير أوضاع المرأة وأشكال مشاركتها في عملية اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

رابعا: العامل الثقافي والتعليمي، المعبر عنه راهنا في بروز حركة جدل واسعة داخل المجتمع الإيراني تتمحور حول تطوير الآداب والانفتاح الثقافي، وتطوير وسائل الإعلام، وتخفيف حدة الرقابة على المطبوعات، أي إنجاز صيغة إيرانية مناسبة لثورة ثقافية.

هذه العوامل سيتم البحث في إنعكاساتها على أوضاع اليهود في إيران لاحقا في سياق تقديم ما طرأ من متغيرات وتحولات على الوجود التاريخي لليهود في إيران.

الفصل الأول

الوجود اليهودي في إيران

كان تاريخ اليهود في إيران يشهد دائماً أوضاعاً متقلبة وكانت نظرة الحكام إليهم تتوقف على وضع الدولة الداخلي والاقتصادي وعلى علاقاتها مع الدول المجاورة لها. فمنذ أقدم العصور كانت -حسب ما يزعم الصهاينة- هنالك جماعة يهودية في إيران، بدلالة وجود قبور لليهود في إيران. كما أن يهود هذا البلد يفخرون ويعتزون بصنيع الملك كوروش العظيم لهم فهو الذي سمح لهم عام 538 قبل الميلاد بالعودة إلى القدس، بعد سبيهم على يد نبوخذ نصر البابلي في أعقاب تدمير الهيكل الأول قبل ذلك بنحو بضعة عقود من الزمن.

وفيما يعتقد اليهود أن صنيع الملك كوروش يعود بصورة أساسية إلى الدور الذي قامت به أستير، وهي بطلة دينية يهودية كانت خليلة مقربة لملك فارس، حتى أنهم كانوا يطلقون عليها لفظة ملكة، كما أن أحد أسفار التوارة يدعى سفر أستير الذي يتحدث عم مؤامرة حاكها هامان وزير الملك أحشويروش ملك الفرس، ضد اليهود، إذ نجح في الحصول على موافقة الملك على التخلص منهم. ولكن أستير، بتأثير فتنتها وجمالها استطاعت أن تكسب الملك لصفها وتنقذ شعبها. ويقول السفر: «فلما رأى الملك أستير واقفة في الدار نالت نعمة في عينيه فمد الملك لأستير قضيب الذهب الذي بيده فدنت أستير ولمست رأس القضيب... فقال الملك لأستير عند شرب الخمر ماهو سؤالك فيعطى لك وما هي طلبتك، إلى نصف المملكة تقضى، فأجابت

أستير وقالت: إن سؤالي وطلبتي إن وجت [نلت] نعمة في عيني الملك وإذا حسن عند الملك أن يعطى سؤالي ويقضي طلبتي [وهي] أن يأتي الملك وهامان إلى الوليمة التي أعملها [أعدها] لهما وغدا أفعل حسب أمر الملك (أستير 2/5، 6–8). وبعد أن يحضر الملك الوليمة ويشرب الخمر تخبره أنها تطلب رأس هامان، ويذهب الملك إلى حديقة القصر ليفكر، وحينما يعود إلى مجلس الشرب يفاجأ بهامان «متواقعا على السرير الذي كانت أستير عليه، قال الملك هل أيضا يكبس الملكة معي في البيت» (أستير 8/7) وينتهي الأمر بصلب هامان. وبعد ذلك أعطى الملك إذنا لليهود «أن يجتمعوا ويقفوا لأجل أنفسهم ويهلكوا ويقتلوا ويقوموا بإبادة قوة كل شعب حتى الأطفال والنساء وأن يسلبوا غنيمتهم» (أستير 11/8) وفرح اليهود حتى أن «كثيرا من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم» (أستير 17/8) وأخذ اليهود في الانتقام يساعدهم في ذلك رؤساء البلدان «فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا. وقتل اليهود... وأهلكوا خمسمائة رجل» (أستير 5/9–6)، وصلبوا بني هامان العشرة ثم قتلوا بعد ذلك ثلاثمائة رجل (أستير 10/9) ثم خمسة وسبعين ألفا (أستير 16/9) «ولكنهم لم يمدو أيديهم إلى النهب». ثم استراح اليهود وجعلوا اليوم الخامس عشر من الانتقام يوم فرح»[1] . بعض المؤرخين اليهود يذهبون إلى أن الإمبراطور كوروش لم يكن لديه أسباب تدعو إلى عقاب اليهود، وهم أصدقاء الفرس ومنهم مستشاروه وأعوانه، ثم أن وجودهم في فلسطين وهم على هذه المودة معه يؤمن طريقه إلى مصر ويهيئ له مساعدين ولو بالجاسوسية، وهكذا كانت الظروف مواتية لهم أن يعودوا إلى القدس، وهم قدروا هذا العمل، وتم اعتبار كوروش مخلصا أرسله الله لهم. لكن لم يعد المنفيون اليهود جميعا، فقد آثر

---

[1] د. عبد الوهاب المسيري، «موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية» (رؤية نقدية)، مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية (الأهرام)، القاهرة 1975، ص74.

أصحاب الثروات والمزارع أن يبقوا لممارسة أعمالهم. ووجد في الوثائق التجارية التي كشف عنها حديثا أسماء عبرية بصورة متكررة، وبعض هذه الأسماء يدخلها أسماء آلهة بابلية مما يوضح جانبا من امتزاج العبريين بالبابليين وتأثرهم بهم، وهذا على حد اعتقاد الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعة المفاهيم الصهيونية.

وقد عادت إلى القدس (أورشليم) أول مجموعة بقيادة زروبابل، وهو من سلالة النبي داود وكان معه كاهن أو نبي يدعى «يوشع» وكانت هذه المجموعة تبلغ نحو 42 ألفا، وقد ساعدهم إخوانهم وجيرانهم بماديات كثيرة من المال والماشية، وأعاد كوروش ماكان نبوخذ نصر قد أخذه من كنوز سليمان وذخائر أورشليم، ويبدو أنه رجع معهم جماعات ليسوا إسرائيليين، وعين زرو بابل حاكما على أورشليم.

وفي عهد الأمبراطور ارتحشستا الأول (465-242 ق.م) المدعو Aretexertes long imn usi عادت مجموعتان أخريان من اليهود (العبريين) ونبيين كان لهما أثر كبير في تطور حياة الإسرائيليين العائدين في أورشليم وإعطائهم وضعا سياسيا وهيئة إدارية وهما نحميا وعزرا، وكان نحميا صاحب اليد الطولى في هذا الجانب بينما غذى عزرا حياتهم بمدد روحي واسع[2].

ونتيجة للفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي أصبحت بلاد فارس جزءا من الإمبراطورية الإسلامية ويهود هذه البلاد أصبحوا من رعايا الإمبراطورية الإسلامية كونهم من «أهل الكتاب». ولم يتعرضوا لضغوطات ولم يرغموا على تغيير دينهم، كما يدعي بعض المؤرخين الإسرائيليين راهنا، الذين أشاروا إلى هذا الأمر إضافة إلى إشارتهم إلى ظهور

---

[2] د. عبد الجليل شلبي، «اليهود واليهودية»، (كتاب اليوم) عدد آذار 1997، دار أخبار اليوم، القاهرة، ص71.

حركات مسيحية معادية لليهود من أبرزها حركة ابن عيسى في القرن الثـــامن الميلادي[3].

ما حدث من تحولات في أوضاع اليهود الدينية في ظل الحكم الإسلامي لم يمنع من ظهور فرق يهودية جديدة أو مذاهب مثل مذهب القرائيـــن الــذي ظهر في بلاد ما وراء النهرين وامتد إلى بلاد فارس. وأسس هـــذا المذهــب عنان بن داود في العراق في أواخر القرن الثامن، ويتلخص مذهب القرائين في جعلهم النص المقدس المكتوب، أي العهد القديم، وهو المرجع الأول والأخـــير والمنبع لكل عقيدة أو قانون. وكانت التوراة ومازالت تسمى بـــ«المقـــرا» أي المقروءة، ومن هنا جاءت تســمية أتباع هذا المذهب بالقرائين. وقـــد هـــاجم القراؤون التلمود وهدموه وفندوا تقاليده الحاخامية واشتد الصراع بينهم وبيـــن الحاخامين إلى حد إعلان كل طائفة تكفير الأخرى ونجاستها وحرمانـــها مـــن رحمة الله. وكان أكثر اليهود القرائين يقيمون في مصر والشام وتركيا والعراق وإيران وبعض أجزاء من روسيا وأوروبا[4].

وبعد ظهور الدولة الصفوية في إيران في القرن السادس عشر الميلادي كان اليهود في عموم البلدان الإسلامية – وبضمنها العربية – موزعين علـــى سبعة مراكز تتمايز عن بعضها البعض باختلاف العوامل الاجتماعية الســـائدة بينها وخاصة في مجالات اللغة والأنشطة الإقتصادية وشكل الملابس، وطـــرق المعيشة، والتقاليد اليهودية التي ســـادت بين يهود الشرق فـــي نطـــق اللغـــة

---

[3] شموئيل سيغف، «المثلث الإيراني، العلاقات السرية الإســـرائيلية الإيرانيـــة الأميركيـــة»، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، طبعة أولى 1983، ص176.

[4] د. عبد الوهاب المسيري، مصدر سابق، ص293.

العربية، وفي طريقة أداء الصلوات والشريعة اليهودية. وتلك المراكز السبعة لليهود هي: العراق؛ كردستان؛ إيران؛ أفغانستان؛ بخارى؛ اليمن؛ وعدن[5].

هذا التقسيم السياسي للمراكز اليهودية في البلدان الإسلامية لم يتطابق معه التقسيم اللغوي أو التقسيم الإثني، فقد كان يهود إيران وأفغانستان وبخارى يتحدثون اللغة الفارسية رغم وجود تفاوت ضخم بين اللغة الفارسية التي استخدمها يهود إيران وأفغانستان وبين اللغة الطاجيقية -فارسية الاصل- وهي اللهجة الخاصة بيهود بخارى. وحدث أحياناً أن يكون أصل اليهود في أحد المراكز، المصنفة على أساس سياسي - جغرافي، هو أحد المراكز المجاورة، فمثلاً الغالبية العظمى من يهود بخارى هاجرت من إيران، كما أن يهود أفغانستان هاجروا من نفس البلد عام 1835[6]. كما أن أصول بعض يهود إيران الحاليين هو كردستان أو العراق وربما جاء بعضهم من أوروبا في العصر الحديث أو من الأندلس في العصر الوسيط.

ويضاف إلى ما سبق ذكره من تمايزات بين يهود المراكز السبعة ما حدث في القرن التاسع عشر الميلادي من تحول داخل المذهب القرائي الذي يتبعه يهود إيران، إذ انبعثت داخله حركة نشيطة على يد بنيامين النهاوندي -أحد تلامذة عنان بن داود- الذي عمل على تثبيت المذهب القرائي، ولكنه (حسب قول الدكتور عبد الجليل الشلبي) «هذبه بعض التهذيب، فمع عدائه (تبعاً لأستاذه) للتفسيرات التلمودية للتوراة لم يتشدد بحرفية النص مثله. وامتاز عن استاذه بأنه كان ذا نزعة فلسفية، فأدخل فلسفته على تعاليم

---

[5] صموئيل أتينجر (تحرير)، ميخائيل أفيطبول، شالوم بر - أشير، يعقوب برناي ويوسف طوبي (تأليف)، «اليهود في البلدان الإسلامية» (1850-1950)، ترجمة د. جمال الرفاعي، مراجعة د. رشاد الشامي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 197، أيار 1995، ص19.

[6] المصدر السابق ص20-21.

التوراة، وكساها ثوبا جديدا، ولم يقصر تغييراته على طقوس العبـــادات، بـــل تعداها إلى جوانب عقيدية كانت مثار جدل من مثله، وظلت أيضا من بعــــده، وكان عمله مجرد تحوير في المذهب القرائي، لأنه بتفســيره التــوراة بــآراء فلسفية وقع فيما عابه عنان على الربانيين إذ فسروها بآراء ونقول شفوية. ومن تفسيراته الفلسفية أن الله أسمى من أن يتصل بالمادة أو بهذا العـــالم الدنيــوي، ولذا هو لم يخلق العالم، وإنما خلقه ملك أمره الله بخلقه، والفكرة قديمـــة لـــها جــذر في الفلسفة اليونانية ولكنه أقحمها على التوراة فعارض مذهبـــه الــذي يتمسك بحرفيتها، وقد حملته هذه الفكرة على أن يعتبر نصوص التـــوراة مـــن الرموز والمجازات، فابتعد بالمذهب عن أصله ابتعادا أكثر، وحملتـــه فلســفته ثانيا أن ينكر حياة الروح منفصلة عن الجسد. وبوجه عام كان عمل النــهاوندي تحويرا واسعا لمذهب القرائين وبعدا به عن أصله.

وعاصر النهاوندي فيلسوف آخر هو دانيال الخوميسي، الذي كانت لـــه نزعة أخرى خالف بها عنان والنهاوندي معا، سواء في العقيدة أو الشريعة، فقد أنكر النزعة التأملية التي دعا عنان إليها، وكذلك أنكر النزعة الرمزيـــة التـــي نادى بها النهاوندي... وأنكر الحساب الفلكي الذي ابتكر من قبل لإثبات بدايات ونهايات الشهور العبرية. وجعل الإعتماد على الرؤية وحدها، لأنه لا يعتمــــد شيئا عن أعمال الربانيين اليهود. وخالف النهاوندي في أنه أنكر وجود الملائكة نهائيا، ولكنه جعل الخالق والإفناء من مظاهر الكون راجعة إلى قوى الطبيعة، والله هو الذي يسير هذه القوى، وحيث أن التوراة تذكر الملائكة أولها هو بأنها هي الطبيعة، وبذا لوى نصوص التوراة التي يدعو للتمسك بها»[7].

---

[7] د. عبد الجليل شلبي، مصدر سابق ص142-143.

اليهودالمتخفون *

كان ظهور الدولة الصفوية ذات المذهب الشيعي الإسلامي واعتبـــاره الدين الرسمي للدولة يمثل في نظر المؤرخين الإسرائيليين بداية لانقلاب فـــي أوضاع يهود إيران، فهم يعتبرون أن هذا المذهب أظهر حقــداً كبــيراً علـــى اليهود واعتبرهم كفرة وأنجاساً. وزادت ضائقة اليهود بشكل خاص أثناء حكــم شاه عباس الأول من 1586-1629، وشاه عباس الثـــاني مــن 1642-1666. حيث أرغم عدد كبير منهم على إعتناق الإسلام، كما أضرمت النار في كثـــير من الكنس اليهودية وحول بعضها إلى مساجد، وأُرغم يهود أصفهان على حمل شعار خاص[8].

لذا اعتبر مؤرخون إسرائيليون آخرون أن أهل السنة مـــن المســلمين كانوا أكثر تسامحاً من الشيعة تجاه اليهود، ولكن كان هناك، على حـــد تعبــير المؤرخ الإسرائيلي صموئيل أتينجر، عامل آخر حدد وضـــع اليـــهود، وهـــو مركزية السلطة، حيث أنه كلما كانت السلطة مركزية أكثر وقادرة على الهيمنة بكفاءة على مقاليد القوة المختلفة في المملكة، إذا كانت هذه الســـلطة أجنبيـــة كان وضع اليهود مريحاً أكثر[9].

ويظهر اختلاف المؤرخين الإسرائيليون أيضاً في تفسير ظاهرة تغيــير اليهود لديانتهم، ففي حين يذكر أتينجر أن أعــداداً كبيرة مـــن يـــهود إيـــران

---

* اليهود المتخفون: هم اليهود الذين يتظاهرون باعتناق دين آخر غير اليهودية بسبب الظـروف المختلفة، ويظلون على دينهم في الواقع، ويطلـــق عليـــهم بالعبريـــة اســـم «أنوســـيم» أي المضطرين أو «المكرهين» أو «المغلوبين على أمرهم»!!.

(8) سيغف، مصدر سابق، ص176.

(9) أتينجر، مصدر سابق، ص21.

واليمن فضلت أن تعتنق الإسلام لأسباب اجتماعية، اقتصادية[10]. فإن مؤرخين آخرين يعزون هذه الظاهرة إلى إرغام المسلمين الشيعة لليهود على إعتناق الإسلام ففي فترة حكم الصفويين، وبالقرب من مدينة فرسفولين، اعتنق الإسلام سكان أكثر من 300 قرية كان يقيم فيها يهود، وأطلق عليهم اسم «جديد»، أي «المسلمون الجدد»[11].

وقد لاحظ أحد المستشرقين أن ظاهرة اليهود المتخفين الذين يعتنقون علنا دينا غير اليهودية ويظلون على دينهم سرا، لم تظهر إلا داخل التشكيل الحضاري الإسلامي أو في إسبانيا التي كان سكانها من اليهود على علاقة وثيقة بهذا التشكيل. وقد حاول أن يفسر ذلك في إطار مفهوم الاستشهاد في الإسلام وأنه لا يكون إلا أثناء الجهاد والمعركة، أما ما عدا ذلك فعلى المسلم أن يحمي نفسه بفكرة التقية. ومن هنا ظهرت فكرة التخفي، على عكس الحضارة المسيحية التي تعد حادثة الصلب فيها حادثة أساسية وهي حضارة تشجع على الاستشهاد وتحمل منه قيمة في حد ذاته. ولذا نجد أن اليهود الإشكناز كانوا يقومون بما يسمى تقديس الاسم «قيدوش هاشم» والاستشهاد بدلا من الارتداد حتى ولو ظاهريا[12].

أما ما ذهب إليه هذا المستشرق (أتينجر) فدحضته وقائع إجبار اليهود والمسلمين أيضا، بعد سقوط الدولة الأموية في الأندلس على يد الأسبان، على اعتناق المسيحية وهذا ما أظهرته ظاهرة «المسلمين المتخفين». وليس فقط «اليهود المتخفين» هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم تظهر ظاهرة

---

[10] المصدر السابق ص24.

[11] سيغف، ص176 مصد سبق ذكره.

[12] د. المسيري، «الهويات اليهودية بين الإدعاء والحقيقة»، حلقات نشرت في صحيفة «القبس» الكويتية عام 1989.

«اليهود المتخفون» في عموم البلدان الإسلامية، فيذكر أتينجر أنه «في الواقع فإننا لا نجد أثراً لمثل هذه الظاهرة في العراق أو عدن. ونعتقد أن أسباب حرص يهود إيران على قطع صلاتهم بطوائفهم تكمن في إحساسهم بعداء المجتمع الإسلامي، وعدم إحساسهم بالارتياح إزاء حصولهم على المساواة في الحقوق. وربما يكمن هنا أحد أوجه التشابه بين يهود إيران وبين يهود أوروبا والولايات المتحدة الأميركية الذين حرصوا أيضاً على تغيير أسمائهم»[13].

تتكشف حقيقة الزعم بإرغام اليهود في إيران على اعتناق الإسلام حين نجد ظاهرة أخرى مرافقة، هي ظاهرة اعتناق بعض اليهود للبهائية في منتصف القرن التاسع عشر. وفي الوقت الذي يرى بعض الباحثين فيه أن عشرات الألوف من يهود إيران اعتنقوا هذه «الديانة» فإن البعض الآخر يرى أن قلة قليلة من اليهود اعتنقت البهائية. ولا بد من الإشارة إلى أن قضية الهوية أُثيرت في إيران بشكل واضح في الفترة التي تولت فيها عائلة بهلوي مقاليد السلطة، وأُثيرت أيضاً بعد أن تمتع يهود إيران بحق المساواة مع الآخرين، وبعد أن تم السماح لهم بالإندماج في حياة المجتمع الإيراني الاجتماعية والاقتصادية[14].

ومما ينبغي ذكره بشأن ظهور البهائية في إيران أن مكسيم غوركي الذي كان يعمل قنصلاً لدولة روسيا القيصرية في طهران خلال الفترة 1880-1890 لعب دوراً هاماً في تأسيس البهائية، وهو الذي حث محمد علي باب، المؤسس الأول للبهائية، في نشر الدعوة وإدعاء النبوة، وذلك لأن الحكومة القيصرية كانت تهدف من وراء دعمها البهائية مادياً ومعنوياً دفع أتباعها

---

[13] أتينجر، مصدر سابق ص25.

[14] المصدر السابق ص24.

للعمل مع الحكومة القيصرية لحفظ مصالحها في إيران، ولوضع حد لنشاط رجال الدين المسلمين الذين كانوا على خلاف دائم مع الحكومة القيصرية، ولمحاربتهم بالبهائية بوصفها دينا جديدا. وقد إلتف حول محمد علي باب رجال بأمر من السفارة الروسية وأخذت الدعوة تجد مناصرين لها. ولكن سرعان ما عرف الإنكليز حقيقة البهائية فانضموا إلى الروس في تأييدها، ومن ثم حلت السياسة الإنكليزية محل السياسة الروسية في إيصال العون الكامل إلى دعاة هذه «الفرقة». ذلك لأن روسيا إنشغلت بمشاكلها الداخلية ثم سقطت الحكومة القيصرية فتركت البهائية على عاتق الإنكليز. وقد اعتمدت البهائية في نشر دعوتها على أسس تخالف القيم الإنسانية ومبادئها، فالإباحية المطلقة هي رأسمالهم الكبير وبواسطتها استطاعوا التغلغل إلى أعماق النفوس المنهارة والشباب المارق. وللبهائية كتابان «مقدسان» يزعم أن أحدهما نزل على محمد علي باب ويسمى بـ«الإيقان»، والثاني نزل مكملا للأول على خليفته حسين علي بهاء ويسمى بـ«البيان»[15].

كما دأب البهائيون على التبشير باجتماع اليهود في فلسطين وإقامة دولة إسرائيل، مثلما دأبوا على التبشير بإقامة الحكومة العالمية التي تمثل من حيث النتيجة حلم الصهيونية الأكبر. فقد قال بهاء الله في كتابه «الأقدس»: «هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم، وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سجرت البحور. قل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع النور. والروح ينادي من في الملكوت هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور، هذا يوم فيه

---

[15] د. موسى الموسوي، «إيران في ربع قرن»، مكان ودار النشر غير مذكورين، 1970، ص100-101.

سرع كرم الله شوقا للقائه، وصاح الصهيون قد أتى الوعد، وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب»[16].

ويقول عبد البهاء عباس: «وردت البشائر في الكتب العتيقة أن اليهود سيجتمعون في الأرض المقدسة وتتمجد الأمة اليهودية التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال، ونتمركز ههنا. ولم تتحقق هذه البشائر إلا في عصر الجمال المبارك. وانظر من الآن أن طوائف اليهود تأتي من أطراف الأرض وبقاع العالم المختلفة إلى هذه الأرض المقدسة، ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ويزدادون تدريجيا إلى أن تصير فلسطين كلها وطنا لهم»[17].

وفي السياق ذاته، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها «قراءة في وثائق البهائية» أنه: «في السنوات من 1904 إلى 1907، واليهودية العالمية على وشك إسقاط السلطان خليفة المسلمين، ازداد نشاط عبد البهاء السري فكان أقطاب الصهيونية يجتمعون في وكره خفية، ومنهم وايزمان وبن غوريون وروتشيلد ويعقدون الصفقات مع رؤوس الدونمة، يهود تركيا والبلقان، وفيهم ضباط بالجيش التركي، أعضاء في حزب تركيا الفتاة»[18].

ويقول شوقي أفندي، الخليفة الثاني لبهاء الله: «إن وعد اللورد بلفور لأطفال إبراهيم وورثته ممن دعوا الله وآمنوا به، قد تمت بفضله الدولة

---

[16] أحمد وليد سراج الدين، «البهائية والنظام العالمي الجديد، وحدة الأديان والحكومة العالمية»، الجزء الثاني، دار إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق 1994، ص383.

[17] المصدر السابق ذاته.

[18] المصدر السابق ص384.

الإسرائيلية فأعقب ذلك أن استقرت في الأرض المقدسة علاقات عميقة الجذور بين دولة إسرائيل والمركز العالمي للبهائيين»[19].

ويذكر أن البهائيين يرددون بكثرة بعض عبارات التـــوراة ولا ســـيما منها: «... وتسير شـــعوب كثيرة ويقولون هلم. نصعد إلى جبل الـــرب إلـــى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صـــهيون تخـــرج الشريعة ومن أورشـــليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمـــم وينصـــف لشـــعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة ســـيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد». (النبي أشعياء، الإصحاح 2-4)[20].

ويقول أبو الفضل الجرفادقاني في كتابه «الحجج البهيـــة»: «.. فـــإن اليهود الذين كانوا يقرأون الكتاب كل يوم بكل دقة، وأرجعوا كل أمورهم إليـــه وعلقوا كل آمالهم عليه، عرفوا معنى هذه البشارات وعلموا مغزاها فرأوا رأي العين أن بشارات الكتب المقدسة، وخاصة المنبئة عن عواقب هذه الأمـــة، لا توافق ولا تنطبق على ظهور ســـيدنا عيسى، له المجد، مهما بالغ المفســـرون من النصارى في تطبيقها وحاولوا بالمحاولة المعهودة توفيقها، فـــإن بشـــارات تلك الكتب المقدسة التي أهرق اليهود دون حفظها دمـــاءهم وبذلـــوا لصونـــها أموالهم بل ذريتهم وأبناءهم، وعلقوا بها وحـــدها أملـــهم ورجـــاءهم، تنـــادي بأفصح نداء بأن بني إسرائيل بعدما تزول سلطنتهم من الأراضـــي المقدســـة ويتشتتون في جميع البلدان ويتفرقون في جميـــع الممـــالك ويضربـــون بكـــل المصائب ويصيرون ملعونين مرذولين بين جميع الشعوب، وبعدمـــا تعطـــى الأراضي المقدسة للأمم الأجنبية وتدوسها القبائل الوحشـــية وتتـــهدم مدنـــها وديارها وتنحط زينتها وعمارها، يظهر الرب القدير ويطلع من المشرق جماله

---

[19] المصدر السابق ص386.

[20] المصدر السابق ص390.

المشرق المنير وينزل في الأرض المقدسة ويرتفع نداؤه من الجبل المقدس فيجمع شتيت بني إسرائيل من المشرق والمغرب والشمال والجنوب ويجلبهم من بين الشعوب فيخرجون من الظلمة إلى النور ويتبدل حزنهم بالسرور وكفرهم بالإيمان وعنادهم بالاذعان وذلتهم بالعزة وضعفهم بالقوة فيصيرون مبروكين بعدما كانوا مغلوبين، ويرجع عز الأراضي المقدسة وتتبرك بترابها الملل المتباعدة، ويغير اسمها الرب الموعود ويبني هيكلها الغصن المبارك المحمود، فتسمى أرضا مقصودة بعدما كانت مطرودة وتصير مطلوبة بعد أن كانت مهجورة. فترجع عزة الأرض المقدسة رجوعا لا يزول، ويغرس الشعب فيها غرسا لا يتضعضع ولا يحول، وتقع الحوادث المنصوصة التي ذكرناها، في أجل مسمى ومدة معلومة في الكتاب كما يعرفه أولو الألباب، ولا تغيره أوهام المنتحلين ولا تبطله محاولة المحرفين ولا تزعزع أساسه المتين تشكيكات المشككين وتمويهات المبطلين»[21].

ولخص المستشرق اليهودي جولد تسيهر موقف اليهود من البهائية بقوله: «بلغ الأمر ببعض اليهود المتحمسين للبهائية أن استخلصوا من دفائن العهد القديم وتنبوءات أسفاره، ما ينبئ بظهور بهاء الله وعباس. وزعموا أن كل آية تشيد بمجد يهوه، إنها تعني ظهور مخلص للعالم في شخص بهاء الله، كما نسبوا جزءا كبيرا من الإشارات والتلميحات التي في الأسفار إلى جبل الكرمل الذي تجلى على مقربة منه نور الله وأضاء على الكون كله... وقد تقدمت البهائية بظهور عباس أفندي خطوة، بعد أبيه، في إستعانتها بالتوراة والإنجيل. فأسفارهما سبق أن بشرت بظهور عباس أفندي من قبل، وهو المقصود بالإمارة وسائر الألقاب الفاخرة العجيبة التي وردت في الفقرة السادسة من الإصحاح التاسع من سفر أشعياء: [يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون

---

[21] المصدر السابق ص391-392.

الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبـــا أبديــا رئيــس السلام].. وفي اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور تيسر لي أن أســتمع إلــى حجج كهذه مستمدة من الكتاب المقدس، من أحد البهائيين المتفانين فــي نشــر عقيدتهم، وقد كان يشتغل إلى عهد قريب طبيبا بطهران، ويقيم منذ عامين فــي بودابست – البلدة التي أقطنها- مشتغلا بالدعوة للبهائة وكسب الأنصار لــــها، وهو يشعر بأن العناية الإلهية قد خصصته للدعاية لدينه في وطني...»[22].

ورغم إشارة بعض المصادر إلى أنه «انضم من اليهود إلــى الحركــة البهائية 150 يهوديا في طهران و100 يهودي في همــدان و50 يــهوديا فــي كاشان و85 يهوديا في كلبايكان»[23]. إلا أن هناك جدل حول دوافــع اعتنــاق اليهود للبهائية فالبعض يرجعها إلى جملة أسباب منها: جهل يهود إيران فــي الشؤون الدينية وعدم وجود حاخامات من ذوي الشهرة فــي مضمــار الديــن ولامبالاتهم بالإضطهاد الديني الذي لم تصل مقاييسه إلى المقاييس التي شهدتها الأقطار الأخرى؛ والمساعدة المالية التي كان يقدمها البهائيون لكل من يعتنــق مذهبهم؛ وسهولة هذا المذهب الذي لا يدعــو إلــى المحرمــات والفرائــض؛ والدعاية البهائية التي حاولت أن تثبت وجودها استنادا للتوراة[24].

وقد حاول المؤرخ الإسرائيلي صموئيل أتينجر الربط بين اعتناق يــهود إيران للإسلام من جهة والبهائية من جهة ثانية في سياق توضيح درجة اندماج هؤلاء اليهود في المجتمع الإيراني، وذلك من خلال قوله: «في إيران ســاهم عاملان رئيسيان في اختلاط اليهود بالمجتمع الإيراني. وتمثل العامل الأول في

---

[22] المصدر السابق ص389.

[23] المصدر السابق ص393، نقلا عن مطالع الأنوار ص534، و«حقيقة البابيــة والبهائيــة» للدكتور محسن عبد الحميد، ص127.

[24] اليهود في إيران، مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق 1988، ص9.

اعتناق الآلاف من اليهود بدءا من منتصف القرن التاسع عشر للديانة البهائية إيمانا منهم بأن هذه الديانة تمنح المساواة للجميع. وعقد يهود إيران آمالهم على هذه الديانة، معتقدين أن انتشارها في كل إيران سيؤدي إلى تحسن أوضاعهم، ولكن هذه الديانة لقيت معارضة شديدة من قبل قادة المذهب الشيعي والحكام والسكان، ولذا فإنها لم تحقق الخلاص المنشود لليهود. وتمثل العامل الثاني الذي ساعدهم على الإندماج في المجتمع الإيراني في أن كثيرين منهم حرصوا على إخفاء إنتماءاتهم الدينية إما عن طريق تغيير أسمائهم، وقطع علاقاتهم بالطائفة اليهودية أو اعتناق الإسلام. وكان تنكرهم لهويتهم يهدف إلى تحسين أوضاعهم الاجتماعية. وشاعت إبان فترة الحكم القارجاري ظاهرة اعتناق أعداد كبيرة من اليهود للإسلام، وفي المقابل فإنه سادت إبان فترة الحكم البهلوي ظاهرة قطع العلاقات مع الطائفة اليهودية»[25].

وبرزت تجليات العامل الأول المحدد لإندماج اليهود في المجتمع الإيراني من خلال قيام البهائية بدور الطابور الخامس في إيران، ورغم قلة عددهم، إلا أن البهائيين استولوا على أكبر مناصب الدولة ومرافقها. ويعود الفضل الكبير لتغلغل البهائيين في أجهزة الدولة إلى الفريق إيادي طبيب الشاه الخاص وأقرب المقربين إليه وصاحبه في السراء والضراء. فإيادي من كبار القادة البهائيين، وأمه كانت من الداعيات المشهورات للبهائية وكانت بمثابة رئيسة لهذه الفرقة ومشرفة على طقوسهم الخاصة. وينسب إلى الشاه اعتقاده أن البهائيين أفضل من غيرهم لإشغال المناصب الحساسة السياسية لأنهم لا يعرفون ثلاث كلمات هو لا يريد أن يسمعها من رجاله، والكلمات الثلاث هي: لا، لم، ومتى. وقد وضح الشاه بنفسه إلى عضو في مجلس الشيوخ الإيراني معنى الكلمات الثلاث عندما سأله عن اهتمامه البالغ بهذه الفرقة

---

[25] أتينجر، مصدر سابق ص55.

قال: إني لا أريد أن أسمع من يقول لي لا أفعل هذا، ولم فعلت هـذا، ومتى تفعل هذا؟

وإنطلاقا من هذه المبادئ الثلاثة بقي على رأس الحكومة عباس هويدا لمدة ثماني سنوات وتعتبر حكومته أطول الحكومات عمرا في تاريخ إيران الحديث. ولم يستعمل الكلمات الثلاث قط كي لا ينزعج مليكه المقدس. وهويدا من مواليد فلسطين من أب بهائي كان يعتبر من كبار الدعاة والقادة، وكان يعمل قنصلا لإيران في حيفا في عهد الانتداب البريطاني ثم قنصلا في بيروت.

وهويدا ليس الوحيد في الوزارة، من البهائيين، فمعه وزراء الدفاع والصحة والماء والكهرباء وكلهم من فرقة واحدة. وكان للبهائية نفوذ واسع في الجيش فالفريق إيادي الذي شغل منصبا هاما في الجيش مهد الطريق حتى تناط بالبهائيين المناصب الحساسة الرفيعة.

وفي العام 1955 طلب الإمام الأكبر البروجردي من الشاه أن يضع حدا للتغلغل البهائي وطلب منه أن يقيل طبيبه الخاص ويستولي على مقر جماعته الذي يسمى بـ«حظيرة القدس» ثم يصفي دوائر الدولة من هؤلاء البهائيين لأن الدستور الإيراني صريح بعدم الإعتراف بشيء يسمى البهائية فلذلك لا يحق لهم التوظف في أجهزة الدولة. وعندما تلكأ الشاه في قبول طلبات الإمام الأكبر هدده بالعزل من العرش إذا لم يستجب فورا لهذه الطلبات التي عبر عنها الإمام بأنها أوامر واجبة التنفيذ لا هي رجاء ولا نصح. فاضطر الشاه أن ينزل عن رغبة الإمام وأبعد طبيبه الخاص إلى خارج البلاد ثم استولى الأمن الإيراني على مقرهم واتخذه دائرة لنفسه وبدأت الحكومة بإخراج كل موظف تنص هويته الشخصية أنه من البهائيين.

ولم يلبث الإمام الأكبر كثيرا في قيد الحياة حتى يرى ثمرات جهده فقد توفاه الله وخلا الجو للشاه الذي أعاد الطبيب والبهائيين والحظيرة إلى أماكنها

السابقة. ثم وافق على سيطرة البهائيين على أخطر أجهزة الإعلام في البـــلاد ومنذ ذلك الحين يشرف على تلفزيون إيران ثري كبير من أثريـــاء البـــهائيين حصل على امتياز لنفسه لمدة 25 عاما في مقابل نصب محطـــات تلفزيونيـــة وشبكات للبهائية، وأصبح البث والبرامج وكل شيء يتعلق بـــالتلفزيون تحـــت رحمة هذا الثري الذي يدعى ثابت باسيال.

وفي موسم الحج إلى عكا، البلدة المقدسة عند البهائيين، تنقل طـــائرات العال الإسرائيلية البهائيين من إيران إليها، وتبدي الحكومة الإيرانية تســـهيلات كثيرة لهؤلاء البهائيين في كل المجالات وهم أحرار في أن يأخذوا معهم مـــن الأموال ما يشاؤون[26].

ويشير ما سبق ذكره إلى أن ظاهرة إخفاء اليـــهود لهويتـــهم الدينيـــة واستبدالها بهوية دينية أخرى أو بأي نوع من أنـــواع الـــهرطقات والديانـــات الكاذبة، كالبهائية، كانت وسيلة للسيطرة على مقدرات المجتمع وليس طريقـــة للاندماج فيه اتقاء لإضطهاد يتعرضون له بين آونة وأخرى.

تحولات ديمغرافية واقتصادية

منذ بداية القرن العشرين وتحت وطأة ظروف داخلية إيرانيـــة وذاتيـــة يهودية، وموضوعية خارجية ممثلة بالتدخلات الأجنبية في الشؤون الداخليـــة الإيرانية من جهة ونشاط الحركة الصهيونية بمنظماتها المتعددة الأسماء مـــن جهة أخرى تعرضت البنية الديمغرافية وكذلك الاقتصادية ليهود إيران لعدد من التحولات، فبعد أن كان يهود إيران يتمركزون في المدن الإيرانيـــة التاليـــة: شيراز؛ همدان؛ أصفهان؛ وكرمنشاه في أواخر القرن التاسع عشر أصبحـــوا،

---

[26] د. الموسوي، إيران في ربع قرن، مصدر سابق ص102-104.

مع بدايات القرن العشرين، يتمركزون بصورة أساسية في طهران. ولم يكن ازدهار الحياة الاقتصادية في طهران بالسبب الوحيد الذي شجع اليهود على الهجرة إليها وإنما كان الإحساس بالأمان والاستقرار من أهم العوامل التي شجعت اليهود على الاستقرار في طهران[27].

ولم تكن هجرة اليهود إلى طهران حكرا على يهود المدن الإيرانية بل جاءت أعداد كبيرة من يهود العراق إلى طهران وشكلت فيها طبقة مميزة اجتماعيا، وكان الدافع الأساسي لهجرتهم إلى طهران هو البحث عن ظروف معيشية أفضل. وفي وقت لاحق تزايد تعداد هؤلاء المهاجرين اليهود بشكل مطرد فبلغ تعدادهم نحو ثلاثة آلاف مهاجر في عام 1970. ولم يستطع هؤلاء المهاجرون الاندماج في مجتمع اليهود الإيرانيين فحافظوا على لغتهم وتقاليدهم الدينية، وعملوا على إنشاء بعض المؤسسات الخاصة بهم مثل: المعابد والمدارس. وحقيقة الأمر أن الفروق الثقافية بين يهود طهران وبين أبناء الطوائف الأخرى كانت ضخمة للغاية خاصة أن يهود طهران كانوا أكثر إطلاعا من غيرهم على الفكر الأوروبي الحديث[28].

أما عدد يهود إيران الأصليين فقد قدر عام 1970 بنحو خمسين ألف نسمة وفي المقابل كان عددهم في مدينة شيراز يقدر بثمانية آلاف وخمسمائة نسمة، وفي أصفهان بثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة، أما في عبدان فلم يتجاوز عددهم في ذلك العام ألف يهودي فقط. وبمرور الزمن تمت عملية تصفية التجمعات اليهودية الصغيرة تقريبا، بينما لم تعد الطوائف الأكبر إلا بمنزلة ظل

---

(27) أتينجر، مصدر سابق، ص28.

(28) المصدر السابق، ص30.

باهت مقارنـــة بحجمها في الماضي، مما كان له أكـــبر الأثـــر فـــي التنظيـــم الطائفي ليهود إيران[29].

ووفقا لتقديرات إبراهيم موريه نائب رئيس الجماعـــــة اليهوديـــة فـــي طهران كان في إيران عام 1971 نحو 85 ألف يهودي منهم 50 ألفا يتمركزون في طهران، والباقون موجودون أساسا في شيراز وأصفهان وعبادان[30]. وقـــد انخفض هذا العدد وفق تقديرات شموئيل سيغف، عام 1978، إلى نحو 80 ألف يهودي[31]. فيما قدر إيشعيا، رئيس الجمعية اليهودية المركزية فـــي طـــهران، عـــدد يهود طهران، عام 1997 بنحو 30 ألف يهودي من أصــــل 64 مليـــون نسمة* هو عدد سكان إيران[32].

أما تقديرات النائب عن الأقلية اليهودية الإيرانية في مجلس الشـــــورى الإسلامي الدكتور منوتشهر إلياسي فتفيد أن عـــــدد اليـــهود فـــي الجمهوريـــة الإسلامية يناهز 35 ألفا موزعين على مناطق ومدن إيرانية رئيسية[33].

وتقترب من هذه التقديرات لأعداد يهود إيران، تقديرات أعلنها حاخـــام إســـرائيل الأكبر إلياهوباكشي دورون، الذي قدر عدد يهود إيـــران الحـــاليين

---

(29) المصدر السابق، ص29.

(30) ميشيل سلومون، سلسلة مقالات حول يهود إيران، نشرة مؤسسة الدراســـات الفلســطينية، بيروت، 1971/12/1، نقلا عن «هارتس» 1971/11/15.

(31) سيغف، مصدر سابق، ص173.

* تذكر صحيفة «الديار» اللبنانية، لدى نشرها في عددها الصادر فـــي 1998/6/2 معطيـــات أساسية حول إيران، أن عدد سكان إيران هو 76.5 مليون نسمة، وذلك نقلا عن صحيفـــة «Courrier».

(32) «السفير»، 1997/5/24.

(33) صحيفة «الحياة» 1998/6/15، مقابلة لمراسلها في طهران غسان بن جـــدو مـــع نـــائب اليهود في البرلمان الإيراني.

بنحو 30 ألف يهودي بالإضافة إلى 15 ألفا آخرين يحملون الجنسية المزدوجة ويعيشون في أوروبا أو أميركا الشمالية لكنهم يسافرون من إيران وإليها لفترات مؤقتة إذ أن السطات الإيرانية لا تعترف بالجنسية المزدوجة[34].

اقتصاديا، ارتبطت أوضاع يهود إيران في العصر الحديث بالأوضاع الاقتصادية العامة للشعب الإيراني، وحتى الحرب العالمية الأولى، على حد تعبير أتينجر، لم تظهر في إيران أية عائلة يهودية ثرية، ذلك لأن الأوضاع الاقتصادية -الاجتماعية ليهود إيران طيلة الفترة الممتدة من القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى كانت متدهورة للغاية، ولم يحدث تحسن ملحوظ في أوضاعهم إلا في أواسط عقد الستينات من القرن العشرين، وهذا ما أكده تقرير صادر عن الوكالة اليهودية عام 1966، جاء فيه أن الأثرياء من يهود إيران شكلوا مايتراوح بين 8% و10% من يهود إيران، بينما تراوحت نسبة أبناء الطبقة المتوسطة بين 40% و45%، و50% هي نسبة الفقراء بين يهود إيران[35].

وابتداء من عهد محمد رضاه شاه، تطورت الأوضاع الاقتصادية ليهود إيران تطورا ملحوظا، إذ ظهرت العائلات اليهودية الثرية، فقد كان يوجد في طهران فقط في عام 1975، نحو 12 مليونيرا يهوديا[36].

وقد وصف ميشيل سلومون، محرر جريدة هارتس- أوضاع يهود إيران الاقتصادية في عقد السبعينات بقوله: «يعيش يهود إيران في رخاء من الناحية الاقتصادية، وهم ديناميون، ولكنهم ليسوا جميعا أغنياء، ويوجد بينهم 15 من أصحاب المصانع الكبرى القادرين على احتلال مكان محترم في قائمة

---

[34] صحيفة «الشرق الأوسط»، 1998/2/21.

[35] أتينجر، مصدر سابق، ص39.

[36] المصدر السابق، ص43.

«الألف عائلة» التي تتحكم بإيران من الناحية الاقتصادية. وجزء كبير من الباقين يمارسون المهن الحرة، وإدارة الفنادق والتجارة. فشارع «بيردوزي»، شريان الحركة التجارية الكبير في طهران، والذي تتجمع فيه تجارة السجاد والأدوات الفنية هو الشارع اليهودي البارز في العاصمة، ويعيش نحو 30000 يهودي على حافة الفقر»[37].

إجمالا للأوضاع الاقتصادية ليهود إيران واستنادا إلى إحصاءات أعدها مجلس الطائفة اليهودية في إيران وبالتعاون مع الوكالة اليهودية، فإن النشاط الاقتصادي ليهود إيران كان يتوزع على النحو التالي[38]:

القطاع الاقتصادي	1950-1973	1973-1976
التجارة	15 %	27 %
المهن الحرة	45 %	55 %
الوظائف	29 %	15 %
الزراعة	3 %	1.5 %
الخدمات الأخرى	8 %	2.5 %

وفي عهد الجمهورية الإسلامية في إيران وتحت وطأة الأزمة الاقتصادية العامة التي خلقتها الحرب العراقية - الإيرانية الطويلة، وما أعقبها من نشوب حرب الخليج الثانية وإنعكاساتها على سوق النفط العالمي، يمكن القول أن المكانة الاقتصادية التي كان يتمتع بها يهود إيران في عهد الشاه قد

[37] سلومون، مصدر سبق ذكره.

[38] ي، سندلير، يهود إيران، دار القبس، الكويت 1985، ص78.

تراجعت كثيرا، وتعزز هذا التراجع بفعل موقف طبقة البازار (التجار) الموالين لرجال الدين الذين يشكلون النخبة الحاكمة لإيران.

ومما لا بد ذكره في مجال القوة الاقتصادية للعائلات اليهودية الثرية في إيران أن أموال هذه العائلات الثرية ساهمت في توثيق العلاقات الاقتصادية والسياسية بين إيران (الشاهنشاهية) وإسرائيل، ولكن، والقول للبروفيسور صموئيل أتينجر، لم يكن بمقدور رأس المال اليهودي تغيير موقف الخميني تجاه إسرائيل. فمنذ أن اعتلى الخميني السلطة في عام 1979، تم إعدام ما يربو على عشرة يهود فضلا عن العشرات الذين ألقوا في المعتقلات. ومع هذا يبدو أن رؤوس الأموال اليهودية في إيران تساعد في الحفاظ على أمن الطائفة اليهودية لأن النظام [الجمهوري الإسلامي] يستفيد، بشكل أو بآخر من هذه الأموال. وخلاصة القول أن يهود إيران بسبب عدم الاستقرار السياسي، يفضلون تهريب أموالهم إلى الخارج، مادام هذا الأمر يمكن ألا يهدد حياتهم بالخطر[39].

كما أنه ولجهة تكثيف النشاط الاقتصادي ليهود إيران تاريخيا يذكر أتينجر أن الاتجاه الشيعي السائد في إيران تبنى موقفا عدائيا تجاه اليهود في إيران، وتسبب هذا العداء في حرمان اليهود من لعب أي دور بارز في حياة الدولة، وفي فرض قيود عديدة عليهم. واشتغل معظم يهود إيران في مجال نقل البضائع والسلع من القرى إلى المدن. وعمل يهود شمال إيران في مجال الوساطة التجارية مع روسيا التي كانوا يصدرون إليها الجلود والسجاد، ونتيجة لأن المسلمين كانوا لا يتعاطون النشاط الربوي إلتزاما منهم بتعاليم الإسلام فقد أصبح هذا المجال حكرا على اليهود، وتسبب العمل بالقروض في أحيان

---

[39] أتينجر، ص43، مصدر سبق ذكره.

كثيرة في إلحاق أشد الضرر باليهود خاصة حينما كان يعجز السكان المسلمون عن تسديد ديونهم.

وطرأت في بدايات القرن العشرين فقط تحولات عديدة على أوضاع يهود إيران، خاصة بعد أن حصلت أعداد كبيرة منهم على قدر كبير من الثقافة، كما أن هذه الفترة شهدت تزايد قوة الحركة الليبرالية في إيران، وهي الحركة التي سعت إلى تطبيق نظم الحكم العلمانية بالسلطة، وتمثلت مظاهر هذا التحول في تنوع أنشطة اليهود الاقتصادية فاشتغلت أعداد كبيرة منهم في الجيش، وفي كافة الأجهزة الحكومية، كما شغل بعضهم مكانة اقتصادية بارزة في الدولة، وفي الواقع فإن الآمال التي عقدها اليهود على تولي رضا شاه بهلوي لمقاليد السلطة في إيران باءت بالفشل، خاصة أن السياسة المركزية التي اتبعها بعد الحرب العالمية الأولى تسببت في تعرض التجار اليهود الذين عملوا بالتصدير إلى أضرار بالغة، فكانت السياسة القومية التي انتهجها الشاه ترمي إلى فرض السيطرة على كافة الأنشطة الاقتصادية بالدولة مما أدى إلى تفشي الفقر في أوساط يهود إيران، ومع هذا تحسنت أحوالهم الاقتصادية بشكل ملموس بعد تولي محمد رضا شاه تقاليد السلطة بعد الحرب العالمية الثانية. وازدهر الاقتصاد الإيراني في هذه الفترة نتيجة للمساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة الأميركية إلى إيران علاوة على ظهور البترول. ونتيجة لأن الشاه تبنى سياسة ليبرالية حرة فإن اليهود شاركوا بقوة في الحياة الاقتصادية، ولم تقتصر أنشطتهم الاقتصادية على التجارة وعملوا أيضا في مجالي السياحة والفندقة، كما عمل الكثيرون في مجال الطب والصيدلة والمحاماة والتدريس بالجامعات[40].

---

[40] المصدر السابق، ص38.

ظهرت في إيران خلال القرن التاسع عشر وإبان الفترة التي حدثت فيها حركة الاصلاحات حركة ليبرالية دعت إلى تحويل إيران إلى دولة حديثة على غرار الدول الأوروبية. ودعت هذه الحركة إلى تحديث إيران، وإلى تقليص حجم الصلاحيات الممنوحة للشاه، ولكن لم تكن للحركة أية آراء محددة بشأن الأقليات الدينية. ولم يقدم قادة هذه الحركة على تحسين أوضاع اليهود إلا بعد أن تعرضوا لضغوط شديدة من قبل المنظمات اليهودية والحكومات الأوروبية. وفي الواقع لم يتحسن وضع اليهود في إيران إلا في عهد الشاه ناصر الدين (1848–1896) الذي عمل على تطوير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاده، وعلى توثيق علاقاته مع القوى الأوروبية ومع بعض الشخصيات اليهودية الأوروبية، وقد تعهد لهذه الشخصيات بتحسين أوضاع اليهود فتم إلغاء قانون المواريث الذي كان يعطي لليهود الذين اعتنقوا الإسلام حق وراثة أقاربهم من اليهود، حتى وإن كان لهم أقارب يهود من الدرجة الأولى. ولكنه لم يلغ وضع اليهود كأبناء ذمة. وذلك بسبب المعارضة التي لقيها الشاه من قادة المذهب الشيعي، الذين لم يجدوا أية صعوبة في إثارة مشاعر السكان ضد اليهود. كما باءت كل المحاولات التي بذلها للتقليل من نفوذ رجال الدين بالمجتمع بالفشل. ولم يكتف رجال الدين بتجاهل أوامر ناصر الدين شاه الداعية إلى عدم التعرض بالأذى لليهود، بل أصدروا مراسيم دعت إلى ملاحقة اليهود وإضطهادهم، ولم يتوقف قادة رجال الدين من المتطرفين عن مطاردة اليهود مما دفع عزيز الله سيماني ممثل اليهود في البرلمان الإيراني للإستقالة من منصبه احتجاجا بعد أن لم يسمح له أعضاء البرلمان بإلقاء كلمته في البرلمان.

وكان رضا خان الذي تولى السلطة في إيران عام 1925 أول حاكم إيراني يتمكن من كبح رجال الدين، وبالرغم من نجاحه في السيطرة على

مقاليد السلطة والإمساك بزمام الأمور إلا أن رجال الدين ظلوا يهددون حكم مؤسس الأسرة البهلوية. ولهذا تخوف اليهود من أن يبرزوا وجودهم السياسي والاقتصادي في المجتمع الإيراني. كما عمل كل من رضا شاه وابنه محمد شاه على التقليل من حجم الوجود اليهودي في المؤسسات الاقتصادية وبالجهات الإدارية بالدولة بعد أن تزايد تهديد رجال الدين للسلطة[41].

وبتغير أحوال الحكم في إيران وانتقالها من العهد الإمبراطوري الشاهنشاهي إلى العهد الجمهوري الإسلامي تحسنت الأوضاع القانونية ليهود إيران.

أما القيادة التنظيمية الذاتية ليهود إيران فقد تعرضت خلال القرنين الأخيرين لجملة من التغيرات، فقد كانت بنيتهم التنظيمية ضعيفة للغاية، وكان وضع قيادتهم الدينية متدنيا للغاية بسبب تدني مستوى معرفتها بالتوراة، رغم أن يهود إيران يعتبرون من اليهود القرائين، ولم تتمكن القيادة التقليدية للتجمع اليهودي بطبيعة الحال من أداء مهامها بسبب الضغوط التي تعرضت لها من المجتمع. وفي نهايات القرن التاسع عشر شغلت بعض الشخصيات التي كانت على قدر كبير من القوة الاقتصادية، أو تلك التي حصلت على قدر من الثقافة الحديثة، والتي أجادت اللغات الأجنبية، مكانة بارزة في القيادة اليهودية، وأتيحت لها فرصة تحصيل قدر كبير من المعارف الحديثة في ظل الفترة التي قل فيها إلى حد ما حجم الضغوط التي كانت تمارسها السلطة المركزية على اليهود، وتضاءلت حدة هذه الضغوط بفضل تدخل بعض الجماعات اليهودية وممثلي الحكومات الأوروبية لصالح يهود إيران. وقد شاركت الشخصيات اليهودية في العصر الحديث، والتي حصلت على قدر كبير من

---

[41] المصدر السابق ص49-ص56.

المعارف الحديثة في العمل في الأجهزة الحكومية، ودخـــل مندوبـــون عنـــهم للبرلمان الإيراني، وأعربت أيضا عن تأييدها للأنشطة التي قامت بها جماعـــة «كل شعب إسرائيل أصدقاء» والهادفة إلى إقامة نظام تعليمي حديث في إيران، وعلى الرغم من أن الحاخامات أعربوا عن معارضتهم الشديدة لإقامـــة هـــذه المدارس، وشجعوا الآباء على عدم إرســـال أطفالهم إليـــها، إلا أن الضعـــف الذي كانت عليه هذه القيادة الدينية حال دون نجاحها في مهمتها، هذا بالإضافة إلى أن السلطات الإيرانية كانت تساند الشخصيات المستنيرة من اليهود.

وتزايدت قوة القيادة اليهودية الثرية المستنيرة، وطغـــت علـــى مكانـــة القيادة التقليدية في عهد العائلة البهلوية، خاصة عهد محمد شاه، وهي الفـــترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ووصل خلالها بعض يـــهود إيـــران إلـــى مرحلة ضخمة من الثراء الفاحش، وعلى الرغم من أن بعض الشـــخصيات اليهودية غير الإيرانية التي كان منها الحاخام إسحق مائير هاليفي- الذي أسس مؤسسة «أوتسار هتوراه» التعليمية بإيران - وبعض يهود فلسطين سعت إلـــى تحسين مكانة القيادة الدينية اليهودية في إيران، لم يكـــن بمقـــدور محاولاتـــهم إحداث أية تغييرات جذرية في البنية القيادية للمجتمع اليهودي بإيران، ولكنـــها ســـاهمت في تقوية مكانة المتدينين في الطائفة. لكن هـــذا لم يمنع أيضا مـــن أن الطائفة اليهودية في إيران وصلت إلى مرحلة مـــن التنظيـــم فـــاقت كـــل الطوائف اليهودية الأخرى بالشرق فكانت البنية التنظيمية للطائفة تمارس العديد من الأنشـــطة في مجال التعليم وتقديم التبرعات[42].

وتجدر الإشارة إلى أن ارتقاء البنية التنظيمية ليهود إيران تـــم تحـــت تأثير الخلافات بين المؤمنين منهم بالتقاليد الدينية اليهودية وبين قادة التنوير في صفوفهم ويضاف إلى ذلك تزايد قوة الهجرة اليهودية إلى إيران ســـواء مـــن

---

[42] المصدر السابق ص101-102.

العراق أو من البلدان الأوروبية أيضا، وذلك في عقد الأربعينيات من القـــرن العشرين، إذ أسس هؤلاء المهاجرون في مدينتي طهران وكرمنشـــاه طوائـــف خاصة بهم كانت أقرب في فكرها إلى المستنيرين وانضمت أعداد كبيرة مـــن الشباب اليهودي في هذه الفترة إلى الأحزاب الإيرانية الليبرالية، في حين انضم بعضهم إلى الحزب الشيوعي الإيراني (حزب تـــوده). ومـــن جهـــة أخـــرى شـــهدت هذه الفترة تزايد قوة الاتجاهات المتمسكة بالتقاليد الدينية خاصة بعـــد أن أسس الحاخام اسحق مائير هاليفي، الذي استقر في إيران عام 1943، هيئـــة «أوتسار هتوراه» -كنز التوراة- التعليمية المحافظة في إيران. وسرعان مـــا شغل هذا الحاخام الذي تبنى إيديولوجية معادية للصهيونية مكان الصدارة فـــي النظام التعليمي اليهودي. وبالرغم من أنه تبنى دائما لأســـباب دينيـــة بحتـــة، آراء معادية للصهيونية ولإسرائيل إلا أن أفكاره لم تقلل من ارتبـــاط الشـــباب اليهودي بفلسطين وعلى كل حال فإن أنشطته ســـاهمت فـــي تقويـــة الاتجـــاه اليهودي المتشدد في إيران، وساهمت بالتالي في التقليل من مســـيرة انتشـــار الفكر العلماني في أوساط اليهود الإيرانيين[43].

وكان أول شكل تنظيمي عرفه يهود إيران في العصر الحديث، هو مـــا عرف باسم «انجومان كاليمان» -مجلس أتباع موســـى اليهود- وهو عبـــارة عن لجنة لم تكن في بادئ الأمر لجنة رسمية، ولكنها أصبحت بعد حصولـــها على اعتراف الســـلطات الإيرانية بمنزلة الممثـــل الوحيـــد لكـــل الطوائـــف اليهودية، وشملت أنشطة هذه اللجنة كل نشاطات المجتمع في مجـــال الديـــن والتعليم والتبرعات، ومع هذا لم تتعد صلاحياتـــها حـــدود طـــهران إذ كـــان للطوائف اليهودية في مدينتي أصفهان وشيراز لجان مستقلة.

---

[43] المصدر السابق، ص90.

وجدير بالذكر أنه تزايدت في إيران قوة القيادة اليهودية الجديدة التي لم يكن الحاخامات من بين أعضائها، وكان هذا التحول نتيجة للقوانين التي أصدرتها الحكومة الإيرانية التي حددت البنية التنظيمية للطائفة. وتمثلت خلفية هذا التحول بعد أن صدر في الإمبراطورية العثمانية دستور 1876، وبعد أن صدر في إيران، على وجه الخصوص، دستور 1907. هذان الدستوران اللذان منحا اليهود حق التمثيل في البرلمان واللذان ساهما في تزايد قوة الرابطة بين اليهود المقيمين في نفس البلد خاصة أن التمثيل البرلماني شمل كل المواطنين اليهود[44].

إضافة إلى أن «أنجومان كاليمان» تشير المصادر الإسرائيلية إلى أنه قبل الحرب العالمية الثانية لم ينتظم اليهود في مؤسسات تنظيمية خاصة بهم باستثناء جمعية صغيرة في طهران تدعى Vaad Hakehila. وفي بداية العام 1957 عقد أول مؤتمر «وطني» ليهود إيران بغية تأسيس منظمات محلية يهودية في مختلف المدن والقرى الإيرانية على أن تتوحد وتعمل في إطار Vaad Hakehila. ومنذ ذلك الوقت تشكلت اللجان المركزية اليهودية في كل المدن الإيرانية والتي عملت تحت إشراف اللجنة المركزية لليهود في طهران. واهتمت هذه اللجان بشؤون الطائفة اليهودية وقضاياها مثل: قضية طعام الكشروت، وقضايا الزواج والموت والميراث وشؤون أخرى. وقد كانت اللجنة المركزية ليهود طهران عضوا في المؤتمر اليهودي العالمي. كما كانت هنالك منظمات يهودية ثقافية وتنموية وخيرية وصحية ومهنية ونسوية وشبابية مستقلة في طهران، وتواجدت أيضا بعض المنظمات

---

[44] المصدر السابق، ص108.

اليهودية أو الجماعات الصهيونية، إضافة إلى وجود بعض المكـــاتب التابعـــة للوكالة اليهودية[45].

تجاذبات الأوضاع التعليمية

لدى البحث في الأوضاع التعليمية القديمة والحديثة ليهود إيران يـــبرز الدور الأساسي لمدارس الإليانس إلى جانب المدارس الحاخامية. وتظهر ملفات ووثائق وزارة الخارجية الإيرانية بإســهاب حقيقة هذا الدور، الـــذي كـــانت بداياته مرافقة زمنيا لعملية تأسيس مدارس الإليانس في بغداد، إذ بعث زعيـــم يهود إيران، آنذاك، رسالة إلى زعماء الجمعية اليهودية، شكا فيـــها أوضـــاع إيران وطلب الاهتمام بأوضاع اليهود فيها. هنا قرر مسؤولو هذه الجمعيـــة – «الإليانس» «الاتحاد العام الإسرائيلي»– مـــد نفوذهم إلى إيران أيضا. وخلال زيارة ناصر الدين شـــاه الأولى إلى أوروبـــا عـــام (1873م/ 1290 هـــ)، توســـط «ميرزا ملكم خان» الأرمني للقاء ممثلي الإليانس بالملك القاجـــاري، وقد تم اللقاء في 11 جمادى الأولى، حيث خاطب رئيس الإليانس، الذي كـــان عضوا في البرلمان الفرنسي، ناصر الدين شاه قائلا: «صاحب الجلالـــة.. إن الشعب الإيراني، وبدافع من حبه لليهود (في عهد كوروش) كان قد وفر وسائل عودتهم إلى فلسطين. صاحب الجلالة: إن هناك أربعين ألف يهودي يعيشـــون تحت ظل تاج جلالتك فاسمح لي بالقول أن هؤلاء ينظرون إلى صاحب الجلالة ناصر الدين شاه كما ينظرون إلى كوروش... صاحب الجلالة: إن الإليـــانس تتطلع إلى أن تقوم بتوعية رعاياكم اليهود بواجباتهم على صعيد حب وطنـــهم وملكهم، وهو ما يجب أن يتم منذ مراحل الطفولـــة، ونحن نقترح أن نؤســـس

---

[45] Institute of Jewish Affairs, the Jewish Communities of the world, 1971, p65.

في بعض مدن بلادكم مدارس يديرها معلمونا... فهل سيؤيد جلالتكم هذه الفكرة؟». فرد عليهم ناصر الدين شاه باللغة الفرنسية: ابحثوا موضوع هذه المدارس مع رئيس وزرائي (ميرزا حسن خان سبهسالار) الذي صادق على محضر هذا اللقاء[46].

عقب هذا اللقاء، جرت مراسلات عديدة بين «سبسهالار» ومسؤولي الجمعية اليهودية العالمية بهدف فتح فروع للإليانس في إيران. وما هو معروف، أن حسين خان القزويني (سبسهالار) قدم دعما كبيرا لهذا المشروع. ورغم أن ناصر الدين شاه أبدى موافقته الضمنية على تأسيس مدارس الإليانس في إيران، إلا أن هذه المدارس، ولأسباب مجهولة، لم تكن قد افتتحت حتى عهد مظفر الدين شاه القاجاري. ويرى مؤرخ تاريخ اليهود «حبيب لوي» أن عام 1898 شهد افتتاح أول مدرسة إليانس في طهران، إلا أنه، وعلى أساس الكراس الخاص بعدد المدارس في طهران آنذاك والموجود حاليا في أرشيف وزارة الخارجية، يمكن القول أن أول مدرسة باسم «بني إسرائيل إليانس» أنشئت عام 5656 يهودي الموافق لأوائل عام (1896م/ 1314 هـ). وكانت تضم قسمين: للبنات وللبنين، وتدرس فيها اللغات العبرية والفارسية والفرنسية، وعدد طلابها كان 100 طالب و35 طالبة.

ووفقا للوثائق الموجودة في مؤسسة الوثائق الوطنية الإيرانية، فإن هذه المدرسة أصبحت تعرف فيما بعد بمدرسة الإليانس الفرنسية، وأنشئت مدرسة أخرى باسم «مدرسة بني إسرائيل الفرنسية»، وكان كلتاهما تعملان بالدعم

---

[46] د. علي أكبر ولايتي، «إيران وفلسطين (1897- 1937) جذور العلاقة وتقلبات السياسة»، ترجمة سالم مشكور، منشورات دار الحق، بيروت، الطبعة الأولى 1977، ص33-34.

الذي تقدمه جمعية بني إسرائيل الفرنسية التي كانت توجه عمل هاتين المدرستين.

وبالعودة إلى الوثائق المتوفرة، يتضح أن الحكومة الفرنسية عمدت خلال تلك المرحلة إلى تقديم كافة أشكال الدعم لتوسيع مدارس الإليانس في إيران مستغلة ظروف الإضطراب الداخلي، بعد وقوع ثورة المشروطة (الحركة الدستورية). كما طالب الوزير المفوض للحكومة الفرنسية الحكومة الإيرانية بزيادة الدعم المالي لمدارس الإليانس، وذلك في مذكرة رسمية وجهها إلى وزارة الخارجية الإيرانية جاء فيها: «لا يغيب عن خاطركم الشريف الخدمات الجليلة التي قدمتها مدارس الإليانس الفرنسية خلال الأعوام الثمانية الماضية، في سبيل تربية الأطفال والشباب الإيرانيين. إن صاحب الجلالة مظفر الدين شاه أنار الله مضجعه، وإنطلاقا من اهتمامه الكبير بموضوع التربية والتعليم للإنسان الإيراني، خصص مبلغ مئتي تومان كمساعدات سنوية مستمرة لمدرسة الإليانس منذ تأسيسها. وهذا العام وخلال تعديل الميزانية في مجلس الشورى الوطني المقدس، صودق على إدراج هذه المساعدة ضمن ميزانية وزارة العلوم. لقد قامت هذه المدرسة منذ تأسيسها وحتى الآن، بتدريس ما يقارب ستمائة طالب، تخرجوا منها جميعا وبإمكانهم تقديم خدمات كبيرة لبلدهم في المستقبل... لذا نتمنى عليكم التوسط لدى أولياء دولتكم لرفع مبلغ المساعدة السنوية للإليانس، إلى ألفين وخمسمائة تومان، وما من شك في أن دعم فخامتكم لنا لقبول طلبنا هذا، لن يضايقكم لما يربط بين بلدينا إيران وفرنسا من أواصر المودة والتلاحم والتعاون المتعلقة بالتعليم»[47].

وإلى جانب هذه الإجراءات الداعمة، فإن المسؤولين الفرنسيين كانوا يتجاوزون حدودهم أحيانا، فيتدخلون في الشؤون الداخلية الإيرانية بحجة الدفاع

---

[47] المصدر السابق، ص37-41.

عن الإليانس ودعمها. واقترنت هذه السياسة بمخالفات عديدة، فقـــد وصلـــت رسائل احتجاج عديدة إلى وزارة الخارجية تشكو من تمادي مـــدراء مـــدارس الإليانس في تدخلاتهم بدعم من الحكومة الفرنسية، وقـــد ورد فـــي عريضـــة احتجاجية لأحد المسؤولين الإيرانيين مـــايلي: «... إن المعلميـــن فـــي هـــذه المدارس، الذين هم رعايا فرنسيين وإنكليز وعثمانيين، مكلفـــون فقـــط تعليـــم الأطفال وتطويرهم، وليس ممارسة الحكم. الرجاء إصدار تعميم من الـــوزارة إلى كافة المسؤولين في الولايات المذكورة، خصوصا أصفهان يمنع بموجبـــه مسؤولو ومعلمو مدارس الإليانس من التدخـــل فـــي شـــؤون الإدارة والحكـــم والتصرف بما يتعدى نطاق مهمة التدريس وتعليم الأطفال»[48].

كما وصل الأمر بمدراء مدارس الإليانس في المناطق الريفية إلى القيام برفع العلم الفرنسي فوق المدارس، والتدخل في الشـــؤون الداخليـــة ليـــهود إيران، سعيا إلى ممارسة النفوذ المعنوي عليهم. وهذا ما شـــــرحته مذكـــرة حكومة همدان وأسد آباد، رقم 393 بتاريخ 19 جمادى الأولى 1331 هـــ.

وقد دفعت هذه الممارسات الحكومة الإيرانية إلى توجيه مذكرة رسمية، أبدت فيها استياءها من التدخلات المرفوضة للحكومة الفرنسية فـــي شـــؤون الأقليات الدينية الإيرانية. إلا أن اهتزاز الموقع السياسي لإيران خـــلال تلـــك الأعوام، حال دون أن يتمكن السياسيون الإيرانيون من دخول مواجهة سياســـية مع الدول الأوروبية، الأمر الذي جعل هذا التحرك دون نتيجة تذكر. بـــل إن الممثلين السياسيين الفرنسيين، كالوا اتهاماتـــهم إلـــى المســـؤولين الإيرانييـــن بصلافة وجسارة، وطالبوا بالرضوخ لمطالبهم غير المنطقية[49].

---

[48] المصدر السابق ص42-43.

[49] المصدر السابق ص45.

ويرى د. ولايتي أنه «كحصيلة نهائية يجب القول أن مدارس الإليانس في طهران وباقي المدن الإيرانية لم تكن تواصل عملية تعليم وتربية الأطفال اليهود، على أساس خطة مدروسة ودقيقة فحسب، بل كانت تجتذب الأطفال المسلمين أيضا، لتهيئ بذلك الأرضية لزعزعة المعتقدات الدينية لهؤلاء الأطفال. لقد سعت مدارس الإليانس إلى إثارة حماس وعواطف الشباب اليهود لتتمكن بها من الوصول إلى العديد من أهدافها بشكل غير مباشر»[50].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدارس، مدارس الإليانس، تعرضت لانتقادات شديدة من قبل حاخامات يهود إيران الذين زعموا أن النظام التعليمي الذي تنتهجه المدارس التبشيرية ومدارس جماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء» يضعف من مكانة الدين، ومن قوة الروابط الأسرية بل ويشجع الشباب اليهودي على اعتناق الديانة المسيحية أو البهائية أو الإسلام[51].

وقد تداخل نشاط المنظمات اليهودية المحلية والوافدة، الدينية والعلمانية، العاملة في أوساط يهود إيران مع نشاط قديم نسبيا، هو النشاط التبشيري الذي رعته منذ العام 1809 جمعية أسست في العام ذاته، تدعى «جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود» التي أسسها اليهودي الألماني G.S.C.F.Frey، والتي عملت أيضا على تحسين أوضاع اليهود في أوروبا وإفريقيا وآسيا.

ورغم حصول المبشرين على دعم البريطانيين والأميركيين في بلاد الشرق إلا أنهم لم يحرزوا أي قدر يذكر من النجاح في أوساط اليهود، باستثناء إيران، حيث نجحوا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين في دفع المئات من يهود إيران لاعتناق المسيحية. ولم يعتنق هؤلاء الديانة المسيحية لأسباب دينية وأيديولوجية بقدر ما كان اعتناقهم لها

---

[50] المصدر السابق ص46.

[51] أتينجر، مصدر سابق ص78.

لأسباب اجتماعية وخاصة أن السكان الشيعة في إيران كانوا يعادون اليهود. وعلاوة على الظروف السياسية والاقتصادية التي شجعتهم على اعتناق المسيحية كان لضعف القيادات اليهودية في إيران دور أيضا في إنصراف اليهود إلى المسيحية، أضف إلى هذا أنه كانت في إيران طوائف مسيحية وأرمنية على قدر كبير من القوة والتأثير[52].

ولا بد من الإشارة في سياق إلقاء الضوء على تاريخ التعليم اليهودي في إيران إلى دور المؤسسات الطائفية اليهودية البارز في المجال التعليمي وكذلك الخيري، فقد شاركت المنظمات اليهودية الأوروبية مثل: منظمة «كل شعب إسرائيل أصدقاء»، والوكالة اليهودية، و «وكنز التوراة» في الإشراف على النشاط التعليمي لليهود في إيران، لكنها لم تشرف بالطبع على المدارس اليهودية المحافظة التي تخصصت في تدريس العلوم الدينية التابعة للطائفة. وأسست الطوائف اليهودية في إيران منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبعد أن تحسنت أوضاعها المعيشية عدة مدارس اتبعت النظم التعليمية الحديثة، ولكن هذا الأمر كان مقصورا على طهران وبعض المدن الإيرانية الكبيرة.

واتسمت الأنشطة التعليمية اليهودية في إيران بظاهرتين رئيسيتين هما: إن كل المؤسسات التعليمية، بما فيها تلك التابعة لجماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء» و«كنز التوراة» حصلت على دعم مالي من هيئة «الجونيت». وتمثلت الظاهرة الثانية في أن نظام التعليم اليهودي لم يكن على قدر كبير من الرقي ولذلك أرسل معظم الآباء اليهود في طهران أبناءهم إلى المدارس الحكومية أو إلى المدارس التبشيرية[53].

---

[52] المصدر السابق ص70-71.

[53] المصدر السابق ص111-112.

وتشير المعطيات المتوفرة إلى أنه في عقد الستينات من القرن العشرين قدر عدد التلاميذ اليهود بنحو 14 ألف تلميذ يتوزعون على أنواع مختلفة من المدارس منها 14 مدرسة تابعة للإتحاد الإسرائيلي (الإليانس)، و26 مدرسة من مدارس «أوتسار هتوراة» (كنز التوراة)، كما وجدت في إيران مدرستان صغيرتان تابعتان لليشوف يتم فيها تدريب المدرسين والحاخامات في طهران وشيراز. ويضاف إلى ذلك وجود نحو ثلاثة آلاف تلميذ يهودي في مدارس حكومية خاصة، وبشكل رئيسي خارج العاصمة طهران التي كان في مدارسها اليهودية نحو ثمانية آلاف تلميذ يهودي[54].

أما في عقد السبعينات فقد كانت مدرسة «كوروش الكبير» من أهم المدارس اليهودية في طهران، وكانت تضم 85 تلميذا، وكانت من مراكز النشاط الصهيوني في طهران وباقي المدن الإيرانية. وارتفع لاحقا، عدد الطلاب الذين يدرسون في المدارس اليهودية حتى وصل عددهم خلال عقد السبعينات من القرن العشرين إلى 10753 تلميذا من بينهم 6731 تلميذا يدرسون في طهران و3842 متوزعين على مدارس المدن الإيرانية الأخرى.

وتضم هيئة التدريس في المدارس اليهودية نحو 177 مدرسا ومدرسة محليين ومن بينهم 125 مدرسا ومدرسة تابعين لملاك وزارة التربية الإيرانية و20 مدرسا تابعين لمدراس «أوتسار هتوراة». وكانت الحركة الصهيونية بمنظماتها المتعددة تشرف إشرافا مباشرا، خلال عهد الشاه، على وضع المناهج والبرامج والمواد التدريسية، وتعيين حاخامات من قبلها للإشراف على تدريس المواد الدينية. كما أن الوكالة اليهودية كانت ترسل مبعوثين من قبل مؤسسات التعليم التوراتي التابعة لها للغرض ذاته، وكانت السلطات الإيرانية، وبالتنسيق مع السلطات الإسرائيلية ترسل مجموعة من

---

[54] ... The Jwish Communities, مصدر سبق ذكره

اليهود الإيرانيين إلى إسرائيل للتدريب على كيفية التدريس الديني ففي عام 1979 تم إرسال عشرين فتاة من أجل التدرب في معهد غولد في القدس[55].

لكن إندلاع الثورة ضد الشاهنشاهية وقيام النظام الجديد في إيران جاء ليقطع كل الصلات والعلاقات بين المؤسسات التعليمية اليهودية الإيرانية مع إسرائيل والمنظمات الصهيونية واليهودية. وهذا ما أدى إلى تراجع مطرد لمكانة التعليم العبري، الذي كان متخلفا أصلا، وهذا ما أرجعه أتينجر إلى «عدم اهتمام أبناء معظم الطوائف اليهودية الشرقية اهتماما ضخما بالتعليم العبري، إضافة إلى أن معظم الطوائف اليهودية في كردستان واليمن على سبيل المثال -باستثناء طائفتي الموصل وصنعاء- استمرت في اتباع النهج التقليدي في التعليم وينطبق الوضع ذاته على معظم الطوائف اليهودية في العراق وإيران. وفيما يتعلق بإيران، على وجه الخصوص، فقد أدى تزايد ثراء اليهود الإيرانيين منذ عقد الستينات إلى تزايد قوة الاتجاه الداعي إلى الاندماج في المجتمع والتخلي عن الهوية اليهودية، ولم يكن بمقدور مثل هذا الوضع بطبيعة الحال تحسين مكانة التعليم العبري في أوساطهم»[56].

وحاليا، يبرز دور الكنس اليهودية المتمركزة بشكل رئيسي في طهران، التي يوجد فيها نحو 23 كنيسا من أهمها كنيس «مسجد كيليمان»[57] وكنيس «إبريشامي» الذي يعتبر أكبر معبد يهودي في طهران الكائن قرب شارع فلسطين، هذه الكنس التي تشارك في العملية التعليمية وفي متابعة المدارس

---

[55] ي، سندلير، مصدر سابق، ص49.

[56] أتينجر، مصدر سابق، ص115.

[57] «الحياة» 1997/5/24.

اليهودية في إيران والتي تدرس اللغة العبرية إلى جانب اللغتين الفارسية والعربية وذلك وفق المناهج الرسمية[58].

وفي هذا السياق يذكر نائب اليهود في مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان الإيراني) منوتشهر الياسي أنه تقام الشعائر الدينية لليهود في كنسهم الكثيرة إلى جانب المدارس الخاصة التي تدرس اللغة العبرية، وتدار من قبل الدولة التي تهيئ كل الإمكانات اللازمة[59].

وفي العهد السابق لعهد الجمهورية الإسلامية، كانت الطائفة (الأقلية) اليهودية في إيران تحصل على دعم من الخارج، وخاصة من هيئة «الجونيت» للإنفاق على أنشطتها في مجالي الخدمات والصحة، ومع هذا فشلت كل المحاولات التي قام بها «المجتمع اليهودي» في أعقاب الحرب العالمية الثانية بغرض الخروج من حالة الفقر التي كان يعيش فيها. وإذا كان بعض اليهود الإيرانيين قد وصلوا إلى درجة مذهلة من الثراء، فإن الأثرياء اليهود لم يحرصوا على مساعدة المؤسسات اليهودية الخيرية التي كانت تتلقى دعما ماليا من المؤسسات اليهودية العالمية فتأسس في طهران بمبادرة من هيئة «الجونيت» مستشفى يهودي، كما قامت الهيئة ذاتها بتمويل نصف نفقات صيانته وأتى النصف الآخر من الرسوم التي كان يسددها المرضى مقابل دخول المستشفى، ومن التبرعات المتواضعة التي كان يقدمها أبناء المداخيل البسيطة وفي المقابل لم يتبرع الأثرياء اليهود الإيرانيين بأي شيء يذكر للطائفة[60].

---

[58] المصدر السابق.

[59] «الحياة» 1998/6/15 مصدر سبق ذكره.

[60] أتينجر، مصدر سابق ص112.

ومازال هذا المستشفى هو المستشفى اليهودي الوحيد في إيران، ويقع في العاصمة طهران، وتديره فارنجس هاسديم التي ذكرت أنه من بين 200 موظفا وطبيبا يعملون في هذا المستشفى هنالك 30% من اليهود. ولجهة الخدمات الطبية التي يقدمها هذا المستشفى تقول فارنجس «في الأيام الحالية – أواخر شهر كانون الثاني 1998– فإن 5% من المرضى يهود والباقي مسلمون»[61]. وذلك في إشارة منها إلى أن هذا المستشفى لا يقصر خدماته على اليهود فقط.

النشاط الإعلامي والثقافي

لم يقتصر نشاط المنظمات المحلية والخارجية اليهودية والصهيونية على الشؤون الدينية والدنيوية ليهود إيران، أي في مجالات الميراث والزواج والدفن والطعام اليهودي والتعليم، بل امتد إلى الجانب الإعلامي –الثقافي حيث كانت تصدر في النصف الأول من القرن العشرين عدة صحف يهودية صغيرة بعضها صدر عن جمعية «أوتسار هتوراة» (كنز التوراة) مثل صحيفة «سيناي» التي أغلقت بعد تولي الدكتور مصدق الحكم في إيران. وفي عهده رعى الحزب الشيوعي الإيراني «توده» مجموعة من الصحف الصادرة عن يهود إيران والمناوئة للصهيونية منها: صحيفة «بني آدم»، «البشر»، و«نيسان». وإضافة إلى ذلك كانت هذه الصحف وانطلاقا من هويتها الطبقية تهاجم البرجوازية اليهودية في إيران. وقد أغلقت هذه الصحف بعد عودة الشاه من منفاه بعد إسقاط حكومة مصدق[62].

---

[61] «الشرق الأوسط»، 1998/2/4.

[62] اليهود في إيران، مركز الدراسات الفلسطينية، مصدر سابق ص24.

كما انتشرت في أوساط يهود إيران أسبوعية Alam Yehude، التي صدرت في أوائل عقد الأربعينات من القرن العشرين وتوقفت عن الصدور في عقد الخمسينات نتيجة ضغوط مارستها الدول العربية على إيران[63].

وبعد قيام الثورة الإسلامية ظهرت في إيران منظمة تدعى «منظمة المثقفين اليهود التقدميين» وتسمى بالفارسية «سازمان روشنفكران بيشرو كليميان إيران»، التي أدانت الحركة الصهيونية وأيدت نضال الشعب الفلسطيني. وفيما بعد استبدلت هذه المنظمة بمنظمة يهودية أخرى هي «جمعية يهود طهران» التي أيدت الحكومة الإسلامية، وصدرت عنها بعض النشرات والبيانات المختلفة، إذ صدر عنها أواخر العام 1986، على سبيل المثال لا الحصر، بيانا سياسيا أدانت فيه مجزرة صبرا وشاتيلا وأيدت استمرار الحرب العراقية – الإيرانية[64].

ويسجل النشاط السياسي ليهود إيران أنه كان محدودا إن لم يكن هامشيا، وقد أعرب يهود إيران دائما في الانتخابات العامة التي شهدتها إيران خلال القرن الحالي عن تأييدهم للأحزاب الليبرالية المعارضة للأحزاب الإسلامية واليسارية، وانضمت أعداد محدودة منهم، خاصة من بين المثقفين، في عقد الأربعينات إلى الحزب الشيوعي الإيراني «توده» الذي تأسس عام 1941، ثم خرج معظم اليهود الإيرانيين من هذا الحزب بعد أن ساءت العلاقات بين الاتحاد السوفييتي وإسرائيل، وبعد أن تحسن بشكل ملحوظ وضع اليهود الاجتماعي والاقتصادي، وبعد أن تمت الإطاحة بنظام مصدق في شهر آب من العام 1953، وشكل يهود هذا الحزب رابطة عرفت باسم «الرابطة

---

[63] المصدر (55) ذاته.

[64] اليهود في إيران، مصدر سابق، ص24.

الثقافية والاجتماعية اليهودية»، وأصدرت هذه الرابطة باللغة الفارسية مجلة تدعى «نيسان»[65].

وفي مراحل لاحقة اتخذ النشاط السياسي ليهود إيران شكل الوسلطة أو السمسرة السياسية بين تل أبيب وطهران، وذلك خلال عهد الشاه محمد رضا بهلوي، وخلال التوترات الطارئة التي مرت بها العلاقات الإيرانية - الإسرائيلية.

كما امتاز يهود إيران شأنهم شأن الإيرانيين أنفسهم، بنزوعهم نحو الشك في الآخرين وأدى ذلك إلى بقاء المؤسسات اليهودية مشلولة تماما. وكان كل زعيم يهودي يفضل حل مشاكله بنفسه بدلا من التعاون مع غيره من اليهود. فمثلا حدث في انتخابات لجنة الطائفة اليهودية التي جرت في شهر آذار 1978، أن انتخب الشباب الذين يعتبرون من معسكر عضو البرلمان المحامي يوسف كوهين، لكنه في غداة الانتخابات انشغلت اللجنة المنتخبة في صراعات داخلية، ونزاع «عقائدي» حول مدى شرعية الانتخابات. وكان من بين الذين احتجوا على الانتخابات المهندس عزيز دنشراد وفرويز يشيعياه وهما من رجال الأعمال اليساريين. وكانا تابعين في الماضي للحزب الشيوعي «توده» وشكلا منظمة «المثقفون اليهود في إيران»، وكان دنشراد وفرويز قد أمضيا في السابق فترة في السجن لمعارضتهما حكم الشاه. وعندما قامت الثورة الإسلامية انضما إليها فورا وأيدا أهدافها. ولهذا السبب عين دنشراد ممثلا ليهود إيران في المجلس التشريعي الذي وضع صيغة الدستور الإسلامي الجديد. ثم اجتمع الإثنان فيما بعد مع هاني الحسن ممثل منظمة التحرير

---

[65] أتينجر، مصدر سابق، ص63.

الفلسطينية في طهران، وأعربا أمامه عن تأييدهما للنضال الفلسطيني وتحفظهما من اسرائيل والصهيونية[66].

وهذا ما يعتقد أنه إشارة صريحة على محاولة يهود إيران مجاراة الأوضاع الجديدة وتغير السلطة في إيران، هذا التغير الذي شكل انقلابا في السياسة الخارجية الإيرانية.

ويمكن القول أن هذه الخطوة جاءت في سياق الحفاظ على استقرار أوضاع اليهود في إيران وبعد أن قدم آية الله الخميني، لدى استقباله في شهر أيلول 1979 خمسة من كبار حاخامات يهود إيران، قدم لهم وعدا بأن اليهود لن يكونوا عرضة للأعمال المعادية وأنه سيعامل المواطن اليهودي الصالح معاملة المسلم الصالح وطمأنه كذلك كبير الحاخامات اليهود الإيرانيين باريديا شوفيت الذي أكد أن المسلمون واليهود أخوة، وأن الأقليات اليهودية والمسيحية والمجوسية سيتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة[67].

وتم التأكيد، مجددا، على هذا النهج في التعامل مع اليهود في إيران، خلال السنوات اللاحقة، وبعد وفاة الخميني وهذا ما أكده أهارون ياشاي رئيس الجمعية اليهودية المركزية في إيران، وهو مخرج سينمائي، بقوله: «الخميني لم يخلط بين الجالية اليهودية الإيرانية والصهيونية ونظر إلينا كايرانيين. وإن وضع اليهود مثل المسيحيين والأرمن في إيران، ينظر إليهم كأهل الكتاب ويسمع لهم بممارسة طقوس ديانتهم بحرية شريطة عدم التبشير بها، وتنتخب الطائفة اليهودية نائبها في البرلمان، وتتمتع بحقوق معينة في إدارة شؤونها

---

[66] سيغف، مصدر سابق، ص181.

[67] مجلة «الحوادث» اللبنانية، 1979/9/13.

فالمحاكم الإسلامية تقبل قوانين الدفن والطلاق اليهودية بالنسبة لأبناء الطائفة اليهودية، كما أن اليهود الإيرانيين يجندون في الجيش»[68].

وعشية انتخابات الرئاسة الإيرانية الأخيرة، أوجز أهارون أيشعيا أوضاع يهود إيران وموقفهم من السلطة بقوله: «من الطبيعي أن تكون الأقليات مع السلطة في أي بلد، والناس هنا يعتقدون أن ناطق نوري هو مرشح السلطة (...) إننا إيرانيون منذ 2500 سنة، ولو شئنا أن نسافر إلى اسرائيل لسافرنا، لكن إسرائيل ليست بلدنا، وليس هنا أي تمييز، إننا نعيش في مجتمع ديني ونحن نتفهم ذلك (...) وقد يكون التمييز قدر اليهود على مدى التاريخ لكن ذلك قد ينطبق أيضا على قسم من اليهود في إسرائيل نفسها (...) والناس جميعا يعرفون قصة اليهود الأثيوبيين، وإن المجتمع الإيراني على رغم أنه مجتمع ديني، وربما لهذا السبب يعتبر مجتمعا متسامحا»[69].

وقد صوت معظم يهود إيران لصالح رئيس مجلس الشورى علي أكبر ناطق نوري، في الانتخابات الرئاسية الإيرانية وفق أقوال معظم الذين تم سؤالهم عن وجهة تصويتهم، وذلك على الرغم من ميلهم الواضح لمنافسه السيد محمد خاتمي. وخلال هذه الانتخابات كان من المفترض وفق البرامج المعلنة لوزارة الداخلية أن تكون مراكز تصويت اليهود في الكنس، كما كان يحصل في الانتخابات الرئاسية السابقة وفي الانتخابات التشريعية لاختيار نائبهم الوحيد في مجلس الشورى، لكنهم، توزعوا، ومارسوا حقهم الانتخابي في مختلف المراكز الانتخابية المخصصة لعموم الإيرانيين. وهذا لم يمنع من

---

[68] مايكل ثيودوليو، تقرير، خدمة كريستيان ساينس مونيتور، «الشرق الأوسط» 1998/2/4.

[69] «الحياة»، 1997/5/24.

أن يتوجه قسم هام من يهود طهران المتمركزين في منطقة شيخ هادي، حيث مقر الجمعية اليهودية إلى مركز انتخابي محدد[70].

وقد أكدت جمعيات حقوق الإنسان في تقاريرها المختلفة أن يهود إيران لا يتعرضون إلى ضغوط إلا أن شكاوى الطائفة اليهودية في إيران هي عن مشكلات ليست معقدة أو ضخمة، ومنها إضطرارهم إلى الانتظار وقتا أطول مقارنة بالإيرانيين من أجل الحصول على جوازات سفر وتأشيرات خروج، وإضطرار المدارس اليهودية لفتح أبوابها يوم السبت مثل المدارس الحكومية الإيرانية رغم أن يوم السبت هو يوم العطلة الأسبوعية اليهودية[71].

وفي هذا السياق يقول الدكتور منوتشهر إلياسي، النائب اليهودي، في مجلس الشورى، «إذا بدا تناقض بالنسبة إلى أحولنا الشخصية نعالج المسألة مع المسؤولين الذين يراعون حقوقنا الشرعية. وخلال العامين الماضيين قمت كنائب بمراجعة 25 ملفا للحصول على حقوق مواطنين يهود لدى الجهات الحكومية، وعالجناها كلها»[72].

هكذا يتضح أن العلاقة بين الأقلية اليهودية في إيران والمجتمع الإيراني كانت خاضعة لتأثيرات خارجية صهيونية وأوروبية ترافقت بمحاولة السلطة الشاهنشاهية استخدام يهودها لتحسين أوضاعها ودورها الإقليمي، فيما خضعت هذه الأقلية في عهد الجمهورية الإسلامية لعملية إرساء مجتمع جديد يكفل للأقلية اليهودية حقوقها بشكل لا يضعها في مواجهة مع المجتمع الإيراني وقد لا يفضي بطبيعة الحال إلى ظهور «مسألة يهودية» في إيران.

---

[70] «السفير» 1997/5/24 (مصدر سبق ذكره).

[71] مايكل ثيودوليو، مصدر سبق ذكره.

[72] «الحياة» 1998/6/15، مصدر سبق ذكره.

الفصل الثاني

صهينة يهود إيران

كان لتقلبات أنظمة الحكم في إيران أثر ملحوظ على أوضاع سائر الأقليات القومية والأثنية والدينية التي تواجدت تاريخياً في إيران، ومن بين هذه الأقليات تبرز الأقلية اليهودية التي وإن كانت غالبيتها إيرانية إلا أنها امتزجت مع أقليات يهودية أخرى هاجرت من بلدانها المجاورة لإيران إلى إيران مثل: يهود العراق ويهود كردستان وغيرهم الذين أصبحوا بمرور الزمن يعتبرون يهوداً إيرانيين. وعلى أساس تلك التقلبات في أنظمة الحكم كان تاريخ اليهود في إيران يشهد دائماً أوضاعاً متقلبة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وديمغرافياً، كما كانت نظرة حكام إيران إليهم تتوقف على وضع الدولة الداخلي والاقتصادي، وعلى علاقاتها مع الدول المجاورة لها. فمنذ أقدم العصور كانت هناك جالية يهودية في إيران، وتشهد على ذلك قبور اليهود في إيران. كما أن يهود فارس يذكرون بفخر واعتزاز صنيع الملك كوروش العظيم لهم الذي سمح لهم في عام 538 قبل الميلاد بالعودة إلى القدس، بعد سبيهم على يد نبوخذ نصر البابلي في أعقاب تدمير الهيكل الأول قبل ذلك بـ 70 عاماً. وكان اليهود يحتلون دائماً مراكز هامة في الامبراطورية الفارسية، حتى أنه سَمح لهم بإقامة مستوطنة عسكرية في مصر لكي يحافظوا على الحدود الجنوبية للمملكة[1].

---

[1] شموئيل سيغف «المثلث الإيراني العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأميركية»، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل، عمان، طبعة أولى نيسان 1983، ص176.

ويناقض هذه الصورة الزاهية لأوضاع اليهود التي تقدمها المصادر الإسرائيلية صورة قاتمة، تشير إليها المصادر ذاتها دون شرح أو أسانيد، لحال اليهود في عهد الفتح الإسلامي لبلاد فارس وما تلاه من عهود للخلافة الإسلامية، إذ تزعم تلك المصادر « بعد ظهور الدين الإسلامي والنهضة الإسلامية، «احتل» المسلمون بلاد فارس في القرن السابع الميلادي و«أرغموا» كثيراً من اليهود على تغيير دينهم، وأدت «المطاردات الوحشية» التي تعرض لها اليهود إلى ظهور حركات مسيحية معادية لليهود من أبرزها حركة ابن عيسى في القرن الثامن الميلادي»[2].

وتغالي المصادر الإسرائيلية في مزاعمها عندما تجعل من العداء لليهود في إيران أمراً أو تهمة موجهة إلى مذهب أو تيار إسلامي محدد، وهذا لا يعني تبرئة المؤرخين الإسرائيليين لاتباع المذاهب الإسلامية الأخرى من هكذا تهمة مزعومة، بل يأتي هذا الاتهام بقصدر زرع الفتنة في صفوف المسلمين من جهة وإلى تكثيف جهودهم لإظهار معاناة اليهود في بلد إسلامي محدد، هو إيران، في مجال بحثنا وهذا من جهة أخرى. وفي هذا السياق تفيد المصادر الإسرائيلية أنه في القرن السادس عشر انتقلت الدولة في إيران إلى أيدي الصفويين، وأصبح المذهب الشيعي الدين الرسمي للدولة. وأظهر المذهب الشيعي حقداً كبيراً على اليهود واعتبرهم كفرة وأنجاساً. وزادت ضائقة اليهود بشكل خاص أثناء حكم شاه عباس الأول من 1586-1629، وشاه عباس الثاني من 1642-1666، حيث «أُرغم» عدد كبير منهم على اعتناق الإسلام. كما أضرمت النار في كثير من الكنس اليهودية وحول بعضها إلى مساجد، وأرغم يهود أصفهان على حمل شعار خاص[3].

---

[2] المصدر السابق ذاته.

[3] المصدر السابق ذاته.

ويشاع أيضا أنه في الفترة الأخيرة من حكم الأسرة الصفوية - منتصف القرن السابع عشر الميلادي -تعرض يهود إيران لمذابح جماعية أدت إلى إنخفاض أعدادهم وإفقارهم[4]. وأن اليهود في إيران كانوا من أكثر يهود الشرق تعرضا للمضايقات خاصة في عهد ناصر الدين شاه الذي تولى مقاليد الحكم في إيران خلال الفترة (1848-1896). وبالرغم من أن الشاه حاول إبان هذه الفترة إرساء أسس النظام الحديث في إيران، وتحسين أوضاع اليهود إلا أن كل محاولاته لقيت معارضة شديدة من قبل قادة المذهب الشيعي، الذين لم يجدوا أية صعوبة في إثارة مشاعر السكان ضد اليهود. وباءت كل المحاولات التي بذلها ناصر الدين شاه للتقليل من نفوذ رجال الدين بالمجتمع بالفشل. ولم يكتف رجال الدين بتجاهل أوامر ناصر الدين شاه الداعية إلى عدم التعرض بالأذى لليهود، بل أصدروا مراسيم تدعو إلى ملاحقة اليهود واضطهادهم، ولم يتوقف قادة رجال الدين من المتطرفين عن مطاردة اليهود مما دفع عزيز الله سيماني مندوب اليهود بالبرلمان الإيراني للإستقالة من منصبه بعد أن لم يسمح له أعضاء البرلمان بإلقاء كلمته.

وكان رضا خان الذي تولى مقاليد السلطة في إيران عام 1925 أول حاكم إيراني يتمكن من كبح جماح رجال الدين. وبالرغم من نجاحه في السيطرة على مقاليد السلطة والإمساك بزمام الأمور إلا أن رجال الدين ظلوا يهددون حكم مؤسس الأسرة البهلوية. ولهذا تخوف اليهود من أن يبرزوا وجودهم السياسي والاقتصادي في المجتمع الإيراني، كما عمل كل من رضا

---

[4] اليهود في إيران، مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق، 1988، ص12.

شاه وابنه محمد شاه على التقليل من حجم الوجود اليهودي في المؤسسات الاقتصادية والجهات الإدارية بالدولة بعد أن تزايد تهديد رجال الدين للسلطة[5].

ويواصل المؤرخون الإسرائيليون إبراز وتأكيد وجود مسألة يهودية في الشرق الإسلامي مستغلين كافة التحولات والتغيرات سواء أكانت أيدلوجية أم سياسية فنجدهم يزعمون أنه في إيران شنت الحركة القومية الإيرانية المعادية لحكم الأسرة البهلوية حملة إعلامية قومية معادية لليهود، وتبنى الحزب الشيوعي الإيراني المعروف باسم حزب «تودة» -والذي كان يدور في فلك موسكو - نهجاً معادياً لليهود ولإسرائيل.

ولقيت أنشطة الحركة القومية العربية، والدول الإسلامية المعادية لليهود قبولاً واستحساناً من جانب أتباع النازية بالشرق، وينطبق هذا الأمر على إيران وأفغانستان اللتين حرصتا على توثيق علاقاتهما بألمانيا النازية[6].

وتجددت المزاعم الصهيونية حول اضطهاد اليهود في إيران خلال عهد حكم الدكتور مصدق وذلك على خلفية تبنيه سياسات معادية لإسرائيل. وكذلك كان الحال لدى عودة الخميني من منفاه في فرنسا وإطاحة الثورة بالنظام الشاهنشاهي حيث أشيعت أنباء عن صدور أوامر عن قيادة الثورة الإسلامية تقضي بمنع مئات الأشخاص من أولئك الذين أثيرت ضدهم شبهات بأنهم ارتكبوا أعمالاً فاسدة وهربوا أموالاً خارج إيران، من مغادرة البلاد، وكان من بين أولئك عدد قليل من اليهود، منهم حبيب الكنيان الذي كان شخصاً ثرياً جداً، ويعمل رئيساً للجماعة اليهودية في إيران[7].

---

[5] صموئيل أتينجر (تحرير)، ميخال أفيطبول، شالوم بر - آشير؛ يعقوب برناي؛ ويوسف طوبي (تأليف)، «اليهود في البلدان الإسلامية 1850-1950»، ترجمة د. جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 197، أيار 1995، ص56-57.

[6] المصدر السابق، ص61.

[7] سيغف، مصدر سابق ص27.

وتغالي الصحافة الإسرائيلية في مزاعمها حول وجود اضطهاد ليهود إيران، وذلك حين تشير إلى أن صفة الصهيوني مرادفة لصفة اليهودي في إيران، أي أن السلطات الإيرانية تعتبر يهود إيران صهاينة بالفطرة، ولذلك فإن اليهود في إيران يتم فصلهم عن العمل بسبب كونهم يهودا، كما تسلط عليهم الضغوط لكي يغيروا دينهم، ويعتنقوا الديانة الإسلامية، حتى أنهم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أمام المحاكم[8].

الصهيونية ويهود إيران

تعترف المصادر التاريخية الصهيونية أنه لم يكن للحركة الصهيونية منذ نشأتها في نهايات القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى أية علاقات بالطوائف اليهودية في بلدان الشرق الإسلامي، على الرغم من أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد حركة هجرة قوية من معظم بلدان الشرق إلى فلسطين. ويرى البعض أن جماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء»، التي كانت لها مكانة بارزة في أوساط يهود العراق وإيران والتي تبنت موقفا سلبيا تجاه الحركة الصهيونية، تحملت إلى حد ما مسؤولية عدم وجود أية علاقات وثيقة بين قادة الحركة الصهيونية وبين الطوائف اليهودية في الشرق. ومن المرجح أن يكون عدم معرفة يهود الشرق بأنشطة الحركة الصهيونية والمؤسسات الصهيونية، علاوة على سيطرة الاتجاهات الدينية المحافظة عليهم

---

[8] صلاح عبد الله (تعريب)، «صورة إيران في الإعلام الإسرائيلي» (مجموعة مقالات من الصحافة الإسرائيلية، مقالة إلياهو سلبيتر «الصهيوني اسم مرادف لليهودية» المنشورة في «هآرتس» 1996/3/27، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، 1997، ص27.

وتدهور أوضاع يهود الشرق القانونية والمدنية، قد حالت دون إقامة أية علاقات بالحركة الصهيونية[9].

وقد بدأ يهود الشرق في ممارسة الأنشطة الصهيونية بشكل منظم، وفي الاتصال بالمؤسسات الصهيونية العالمية بغرض الهجرة إلى فلسطين بعد أن تلقى، حسب زعم أتينجر، «المستنيرون» منهم تعليمهم في مدارس جماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء»، أو في المدارس الحكومية، وبعد أن أصبحوا على وعي بمفهوم المساواة الذي يتمتع به كل الأفراد وتحظى به كل الجماعات القومية[10].

ويُقسم النشاط الصهيوني في البلدان الإسلامية، ومنها إيران، إلى ثلاث مراحل هي: مرحلة الأنشطة الفردية، ومرحلة الأنشطة العلنية، ومرحلة الأنشطة السرية. ففي المرحلة الأولى، الممتدة من ظهور الحركة الصهيونية حتى الحرب العالمية الأولى، شهدت إيران نشاطاً ملحوظاً لكنه كان نشاطاً صهيونياً محدوداً، إذ اقتصر على تأسيس رابطة تدريس اللغة العبرية في مدينة همدان عام 1914، وفي العام ذاته تأسست في همدان أول رابطة صهيونية في إيران، وصدرت خلال الأعوام 1914-1916 صحيفة «شالوم» الصهيونية التي كانت تكتب باللغة الفارسية ولكن بحروف عبرية[11].

وفي المرحلة الثانية، ونتيجة للنفوذ البريطاني في إيران، في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وجد اليهود فرصتهم لممارسة نشاطهم الصهيوني بشكل علني. وسبق ذلك، وفي شهر كانون الأول 1917، تأسيس منظمة «الحفاظ على لغة الماضي»، التي كانت لها بعض الأنشطة الصهيونية، كما تأسس في عام 1918 «الاتحاد الصهيوني ليهود إيران» الذي أسس فيما

---

[9] أتينجر، مصدر سابق، ص116.

[10] المصدر السابق ذاته.

[11] الصمدر السابق ص118.

بعد فروعاً له في سائر المدن الإيرانية، وعقد هذا الاتحاد في شهر تموز من العام 1919 في العاصمة الإيرانية طهران المؤتمر الصهيوني الأول ليهود إيران، وكان عزيز الله نعيم هو الذي تولى رئاسة كافة المؤسسات الصهيونية بإيران.

وكان لهذا الاتحاد علاقات وثيقة بالاتحاد الصهيوني في لندن، فقام هذا لاتحاد بجمع التبرعات المالية لصالح المؤسسات «القومية اليهودية». وكانت الحركة الصهيونية في إيران أقوى من نظيرتها في العراق، كما كان مستواها التنظيمي أرقى من نظيره بالعراق، ومع هذا حالت بضعة عوامل دون تطور الحركة الصهيونية في إيران: العامل الأول، أن الطائفة اليهودية بإيران كانت ضعيفة اقتصادياً واجتماعياً، والعامل الثاني، أن جماعة «كل شعب إسرائيل أصدقاء» تبنت كما أسلفنا موقفاً سلبياً تجاه الحركة الصهيونية. ورفضت نشر أي أفكار صهيونية في مدراسها التي كانت بمنزلة المدارس اليهودية الوحيدة التي اتبعت مناهج التعليم الحديثة في إيران، العامل الثالث، أن الدوائر الصهيونية في إيران شهدت خلافات والعامل الرابع، أن «الاتحاد الصهيوني» في لندن تبنى موقفاً مخيباً للآمال تجاه يهود إيران، حيث طالب قادة الحركة الصهيونية في إيران بعدم السماح ليهود كردستان التابعة لإيران بالهجرة إلى فلسطين[12].

وكان من أنشطة الحركة الصهيونية في إيران في هذه المرحلة تأسيس روابط لنشر اللغة العبرية في صفوف يهود إيران، وتقديم تبرعات إلى المؤسسات الصهيونية وشراء الأراضي في فلسطين، وإصدار مجلات عبرية مثل «هجئولا» -أي الخلاص- التي صدرت بالفارسية المدونة بحروف عبرية. وكان الكتاب الذي أصدره عزيز الله نعيم رئيس الاتحاد الصهيوني في

---

[12] المصدر السابق، ص120-121.

إيران لتدريس العبرية الذي طبع في عام 1918 من أفضل الكتب التي صدرت لتدريس العبرية في إيران[13].

أما مرحلة النشاط الصهيوني السري في إيران فأعقبت الانقلاب العسكري الذي قام به رضا خان في شهر شباط عام 1921، الذي حظر ممارسة أي نشاط سياسي. وعلى الرغم من أن السلطات لم تحظر النشاط الصهيوني بشكل واضح إلا أنها وضعت أمامه العديد من العراقيل، كان من بينها: إغلاق صحيفة «هجئولا»، ومنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين، وعدم السماح ليهود الاتحاد السوفييتي بالتوقف في إيران قبل هجرتهم إلى فلسطين. وعلى الرغم من أنه قد ألغيت في عهد رضا خان- الذي نصب نفسه شاها لإيران في عام 1925، والذي تبنى سياسة علمانية نتيجة لتأثر بفكر كمال أتاتورك- ألغيت كافة القيود التي فرضت على الأقليات الدينية وبضمنها اليهود، إلا أنه ظل يفرض قيودا عديدة على النشاط الصهيوني في إيران الذي اعتبره نشاطا معاديا لبلاده، ولذلك ألقت السلطات في عهده القبض على قادة الحركة الصهيونية الذين كان من بينهم عضو البرلمان صموئيل يحزقال حاييم الذي أعدم في عام 1931. وعلى كل حال لم تقض هذه الملاحقات كليا على النشاط الصهيوني، لكنها أدت إلى التقليص من حجمه. وقد ظل مبعوثوا الاستيطان اليهودي يصلون إلى إيران حتى عام 1942 الذي شهد تجدد النشاط الصهيوني في إيران، وكان من أبرز هؤلاء المبعوثين يهودا كوفلبيتس الموج الذي وصل إلى إيران في عام 1928، والذي سعى خلال أربعة الشهور التي قضاها في إيران، إلى إعادة تنظيم الاتحاد الصهيوني الإيراني، والحصول من الشاه على حق ممارسة النشاط الصهيوني في إيران، وتمثل هدفه في أن يسمح الشاه ليهود الاتحاد السوفييتي بالتوقف في إيران قبل هجرتهم إلى فلسطين، ولكن السلطات الإيرانية رفضت الإذعان لمطالبه، وتزايدت في إيران إبان عقد

---

[13] المصدر السابق، ص121.

الثلاثينات قوة الأفكار النازية، الأمر الذي لم يساعد بطبيعة الحال يهود إيـران على العمل في مجال نشر الفكر الصهيوني[14].

وبتغير الأوضاع السياسية المحيطة بإيران، سمحت السلطات الإيرانيـة بممارسة النشاط الصهيوني منذ عام 1941، ولذلك مارس اليهود الإيرانيـون هذا النشاط بقدر كبير من الحرية خاصة بعد أن قامت قوات الحلفـاء بغـزو إيران، وبعد أن أطاحت بنظام رضا شاه بهلوي. وكان من بين العوامل التـي شجعت اليهود الإيرانيين على ممارسة النشاط الصهيوني أنه أتيحت لهم فرصة عقد لقاءات كثيرة من اللاجئين اليهود في أوروبا، ومندوبي الاستيطان اليهودي في فلسطين. «وسمحت السلطات الإيرانية في شهر نيسان مـن عـام 1942 للوكالة اليهودية بتأسيس مكتب لها في طهران، كما شهد نفس العـام وصـول بعض مبعوثي حركة «هيحالوتس» (الرائد – الطليعـي) وحركـات الشـباب اليهودية من فلسطين إلى العاصمة الإيرانية طـهران، ولكـن يـهود إيـران اضطروا بعد مضي بضع سنوات على ازدهار النشاط الصهيوني للحـد مـن أنشطتهم الصهيونية، ومن تدريس اللغة العبرية، خاصة أن تأسـيس إسـرائيل أثار موجة من الاتجاهات القومية المتطرفة تحت زعامة الدكتـور مصـدق. وظلت الأنشطة الصهيونية في إيران متواضعة ومحدودة للغاية حتى بعد عودة الشاه محمد إلى السلطة، الذي شهد عهده تزايـد قـوة العلاقـات السياسـية والاقتصادية والأمنية بين إيران وإسرائيل. ومع تزايد ثراء اليهود الإيرانييـن في عقد الستينات من القرن العشرين قل حماسهم للأيديولوجيـة الصهيونيـة وللهجرة إلى إسرائيل، ولكنهم ظلوا متعاطفين معها. ومع تولي آية الله الخميني مقاليد السلطة في إيران عام 1979 تم وقف كل الأنشـطة الصهيونيـة فـي إيران، كما تم قطع العلاقات مع إسرائيل»[15].

---

[14] المصدر السابق، ص122-123.

[15] المصدر السابق، ص124.

تصف المصادر الإيرانية النشاط الصهيوني في إيران بشكل مغاير إذ أنها تلقي الضوء على محاولات الصهاينة افتعال أزمات لليهود الإيرانيين لجذبهم نحو الانخراط في صفوف الصهيونية والعمل في سبيل أهدافها، إذ تؤكد الوثائق المتوفرة وجود عناصر تقوم بافتعال المشاكل لتوفير مبررات الصراع بين اليهود والمسلمين في إيران، لدفع اليهود إلى الهجرة. وحظيت هذه الممارسات بدعم كبير من قبل جهات أجنبية، ومن هذه الممارسات أنه عندما جرت صدامات بين مجموعة يهود مع مسلمين في شارع «سيروس» وسط طهران بتاريخ 9 جمادى الأولى 1322هـ/ 1904م، بادر القائم بأعمال السفارة الأميركية في طهران بإعلان دعم بلاده لليهود. وبعث بمذكرة إلى وزارة الخارجية الإيرانية يقول فيها أن حكومته وشعبه يولون إهتماما خاصا بحياة وراحة أبناء الطائفة اليهودية وأن منهم من يحتل المراتب الأرفع والأكثر شهرة في الحكومة الأميركية.

بعد ذلك، وإثر حادثة اختطاف فتاة في مدينة «بابل»، طلبت الجمعية الدولية لليهود من حكومات فرنسا وإنكلترا التدخل إلى جانب اليهود الإيرانيين وحمايتهم مما أسموه بالأذى الذي يمارسه الإيرانيون ضدهم.

ومن الحوادث الأخرى في هذا السياق، حادثة فريق شيراز عام 1910، هذه الحادثة ورغم قلة الوثائق الموجودة حولها، تكشف مدى التدخل المشبوه لأجانب وأفراد مجهولي الهوية. إذ بدأت الحادثة، حسب الظاهر، بفقدان إبنة أحد التجار المسلمين، البالغة من العمر أربع سنوات، وقد اعتبر العديدون أن اليهود وراء هذه العملية، مما أثار مشاعر الناس ضدهم، ولأن الإعلان عن الحادثة تزامن مع توافد مجموعات من قبائل القشقائية الصحراوية على المدينة للتزود بالمؤونة الشتوية، فقد قام القنصل الإنكليزي في شيراز بتوجيه الإتهام لأبناء هذه القبائل، وكتب إلى ممثل وزارة الداخلية يقول: «كنت خارج المدينة، ورأيت القشقائيين أمامي وهم يحملون حوالي 300 كيسا مملوءا بجواهر وأمتعة

اليهود»[16]. إلا أن التحقيقات التي جرت بواسطة أحد المسؤولين الحكوميين الإيرانيين أظهرت أن «... الطفل القتيل الاصطناعي، كان طفل اليهود وقد أخرجه المفسدون [؟] من القبر لإثارة الفساد وإعطاء الذرائع... وهم مشغولون الآن في حياكة لعبة جديدة وشعوذة جديدة لإثارة الاضطرابات والفساد»[17].

وتؤكد وثائق الخارجية الإيرانية ضعف اهتمام يهود إيران بالصهيونية، وخاصة عشية الإعلان عن وعد بلفور، ويشاركها في ذلك بعض المؤرخين اليهود إذ يقول المؤرخ بول غودمان في كتابه «الوطن القومي اليهودي» «... رغم صراحة هذا الإعلان [وعد بلفور]، إلا أن آثاره كانت إيجابية وساعد في تدعيم معنويات هذا الشعب، خصوصا وأنه جاء بعد تسعة قرون من التشتت اليهودي، فكان كالماء الذي يعطي لظمآن في صحراء قاحلة. لقد استقبل يهود العالم هذا الإعلان بفرح عارم، وأقاموا الاحتفالات بهذه المناسبة، في كل مكان. أما يهود إيران فلم يسمعوا بهذا الحدث التاريخي القيم، إلا بعد عدة أيام (1917/11/5) ومن خلال الصهاينة في مدينة سان بطرسبورغ. إذ بعث عزيز الله تيزابكر برقية تفصيلية بذلك إلى زعيم اليهود الروحي في طهران، الذي قام باستدعاء جمع من الشباب وأطلعهم على ذلك. بعدها عقد اجتماع في كنيس «خاله» وتلاه آخر في كنيس «حاداش» الذي كان بمناسبة اجتماع تأسيس الجمعية الثقافية للشباب اليهود في طهران»[18].

يذكر أن مؤسسي هذه الجمعية أطلقوا على جمعيتهم اسم «جمعية تقوية اللغة العبرية»، ووجهوا إلى أقرانهم -فور انتهاء اجتماعهم- في بطرسبورغ رسالة شكر. وكان من هؤلاء المؤسسين: «سليمان كهن صدق» و«أبي شور»،

---

[16] د. علي أكبر ولايتي، «إيران وفلسطين 1897- 1937 جذور العلاقة وتقلبات السياسة»، تعريب سالم مشكور، دار الحق، بيروت، 1997، ص64.

[17] المصدر السابق، ص65.

[18] المصدر السابق، ص75-77.

و«د. مرتضى هودايان معلم»، وهو معلم سابق في مدارس الإليانس و«كللج» الأميركية في طهران، وهو من مؤلفي الدروس السابقة في مدرسة الطب، وفي العام 1969 وضع قاموسا فارسيا- فرنسيا، صدر عن مؤسسة «أمير كبير» في طهران، وكان -كما يذكر عن نفسه- يعمل في خدمة السفير الفرنسي في طهران لمدة معينة، ثم عمل رئيسا للصحة ومشرفا على مركز صحي في غرب إيران. و«نهواري باروخ»، و«ميرزا داهود أهرون»، و«سليمان حاييم» و«آشر ابراهام شالوم» و«شموئيل رحسنسار»، و«بنيامين مصباحي» و«الحاخام يودعيم» و«أقا جان كهينم» و«شمعون إلياهو» و«سليمان ناقي»».

وقد شهد العام الأول من عمر هذه الجمعية، تغييرات في أعضائها إذ انسحب منها «الحاخام يودعيم» و«آشر ابراهام شالوم» و«سليمان حاييم» وعدد آخر، ليحل محلهم كل من «ربى مائير ملا يعقوب» و«حاجي ربى نيسان»، و«الملا آقابابا» و«حبيب الله يودعيم» و«عزيز حاييم اسحق» و«حاجي عزيز القانيان». وقد وضع أعضاء هذه الجمعية في خطة عملهم، نشاطات ثقافية مثل: طباعة كتاب قواعد اللغة العبرية وغيره[19]. وهذه التغييرات على صعيد تركيبه الجمعية تدل على خروج بعض يهود إيران وحلول بعض يهود كردستان الإيرانية وهذا ما تدل عليه أسماء الأعضاء الجدد في هذه الجمعية.

ويذكر أن البهائيين أيدوا قيام دولة إسرائيل حتى أن لجنة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة كتبت في تقرير لها أن علاقة البهائية باليهود في فلسطين هي أعمق من علاقة المسلمين بفلسطين، وأن البهائيين يدعمون تشكيل دولة صهيونية. وبعد قيام إسرائيل اعتبر البهائيون ذلك تحقيقا للوعد الإلهي. وقامت البهائية بجهود مكثفة لتثبيت هذه الدولة (إسرائيل)، وفي المقابل اعتبرت إسرائيل البهائية بمثابة أحد الأديان الرسمية.

---

[19] المصدر السابق، ص77-78.

ولقد كانت نشاطات البهائية وتجسسها العلني الصريح لإسرائيل من المسائل التي دفعت بعض الدول العربية إلى اتخاذ بعض الإجراءات ضدها. ويقول الدكتور أحمد شلبي: «... إن زعماء الصهيونية مثل وايزمان وصموئيل كانت لهم علاقات وثيقة بالبهائيين، وإن الجاسوس الصهيوني جدعون شيرازي نشر البهائية بين اليهود الراغبين في استغلال ثروات إيران، وقد قام هذا الجاسوس بدور الوسيط في المحادثات بين وايزمان وعبد البهاء في قصر الأخير على جبل الكرمل وإن الصهيونية سيطرت على البهائية ووجهتها لخدمتها وهي تقدم لها المعونات المستمرة»[20].

وردا على موقف الحكومة الإسرائيلية قالت مجلة الأخبار الآمرية- مجلة البهائيين- في عددها العاشر لعام 1953، تحت عنوان «بشارة عظمى»: «لقد اعترفت الحكومة الإسرائيلية بفرع المحفل البهائي الإيراني في إسرائيل وقد تم بالفعل تسجيله وأصبحت له شخصية حقوقية. وقد قال الهيكل المبارك – شوقي أفندي- إن لهذا الأمر أهمية كبرى، فلأول مرة في تاريخ هذه العقيدة يسجل فرع لها في بلد يعترف به رسميا، مع أن أصل المحفل في مؤسسته المركزية في إيران لم يعترف به ولم يسجل وليست له شخصية حقوقية»[21].

يهود إيران وفلسطين

عاش يهود البلدان الإسلامية، ومن بينهم يهود إيران فترات من العزلة عن بعضها البعض، وتحديدا عن يهود فلسطين، وباعتراف المصادر التاريخية اليهودية لم تكن هذه العزلة ناتجة عن أسباب اقتصادية وسياسية خارجية، إنما

---

[20] أحمد وليد سراج الدين، «البهائية والنظام العالمي الجديد وحدة الأديان والحكومة العالمية»، دار إشبيلية للدراسات والنشر، دمشق 1994، (الجزء الثاني)، ص394.

[21] المصدر السابق، ص396.

كانت نتيجة لحالة التدهور الملموس في قيمة المراكز الروحية اليهودية التي سادت في الفترة الممتدة من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر.

وكان لجهود مبعوثي الاستيطان اليهودي في فلسطين دور في نسج علاقات محدد بين الأقليات اليهودية المتواجدة في البلدان الإسلامية. إذ كانوا يزورون الطوائف اليهودية المختلفة لتشجيعها على الهجرة إلى فلسطين. وكان من بين العوامل التي ساعدت على إقامة العلاقات بين الطوائف اليهودية، أن المضايقات التي كان اليهود يتعرضون لها في بعض الأحيان جعلتهم ينتقلون من بلد إلى آخر، ولم تكن هذه المضايقات نتيجة لإضطهاد السلطات لهم، وإنما بسبب تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

ويضاف إلى ما سبق أن فلسطين أصبحت مركزا يهوديا روحانيا مهما منذ القرن السادس عشر، أي إبان الفترة التي عاشت فيها سائر الطوائف بالشرق في حالة لا مثيل لها من التردي والركود الفكري. وكان ليهود صفد وفلسطين منذ ذلك الحين نتاج متميز في مجالات «القبالاة» وتفسير العهد القديم والشريعة، والشعر الديني، وكان من أبرز مفكريهم آنذاك: الحاخام ها آري صاحب المدرسة الفكرية «الثورية» التي كانت تهدف في المقام الأول إلى تفسير أسباب هذا الموقف الذي يعيش فيه اليهود. وسيطرت أفكار هذه المدرسة على كل مظاهر الحياة اليهودية في ذلك الحين. وقد ساعد تدهور أوضاع اليهود الاجتماعية والاقتصادية على ازدهار الأفكار التي دعا إليها هذا الاتجاه، وعلى الابتعاد عن التقاليد العقلانية التي ازدهرت سابقا إبان العصر الذهبي للخلافة الإسلامية. وفي حقيقة الأمر فقد أولى الاتجاه الصوفي قدرا كبيرا من الاهتمام بوضع «الشعب» اليهودي بين الشعوب الإسلامية، وبمغزى الشتات والخلاص، ومن هنا لا غرابة في أنه تم إحياء مفهوم «أرض المعياد»، وفي أن الأفكار الغيبية التي روجت لها مدرسة صفد الصوفية انتشرت بشكل سريع

في أوساط يهود الشرق، وتغلبت على تلك المكانة البارزة التي كانت تشغلها التقاليد الدينية السابقة[22].

وتؤكد المصادر اليهودية أن تأثير شريعة فلسطين ومركزيتها في الوعي الروحي لطوائف يهود الشرق لم يكن أمرا بديهيا. إلا أن هذا لم يمنع عملية تزايد مركزية فلسطين في وعي يهود الشرق منذ القرن التاسع عشر وخاصة منذ العام 1840 فصاعدا، وساهمت بلا شك العديد من العوامل السياسية والجيوبوليتيكية منذ ذلك الحين في توثيق علاقات يهود الشرق بيهود فلسطين، كما ساهمت في تنشيط حركة الهجرة بين كل بلدان الشرق[23].

ونتيجة لتطور أوضاع يهود فلسطين، شكل حاخامات القدس منذ القرن السادس عشر وخاصة منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر أعلى سلطة روحانية لكل يهود الشرق، ولم يكن هذا الأمر من بين العوامل الرئيسية التي شجعت يهود الشرق على رابطتهم الدينية «القومية» بفلسطين، وعلى رغبتهم في الهجرة إليها عند توفر الظروف الاقتصادية السياسية المناسبة. ونتيجة لأن المجتمع الإسلامي في الشرق كان مجتمعا محافظا حتى الحرب العالمية الأولى، فلم يكن من الممكن أن تظهر في أوساط سكانه من اليهود أي أيديولوجيا داعية للإندماج في المجتمع. ونتيجة لانغلاق المجتمع اليهودي بالشرق على ذاته وضعف علاقاته بالخارج لم تشع في أوساطهم ظاهرة الهجرة إلى الخارج كوسيلة لحل مشكلاتهم، أما فلسطين فقد نظروا إليها بوصفها موطنا يستطيعون العيش والإقامة فيه بما يتماشى مع تقاليدهم دون إزعاج، ولذلك لا غرابة في أن بعض الطوائف هاجرت بكاملها تقريبا إليها[24].

---

[22] أتينجر، مصدر سابق، ص128-129.

[23] المصدر السابق، ص133.

[24] المصدر السابق، ص134-135.

وهذا الأمر لم ينطبق تماما على يهود إيران الذين لم يهاجروا جميعـــا إلى فلسطين، فهجرتهم إليها، وكذلك هجرة بعض يهود البلدان الإسلامية حدثت بأشكال مختلفة ونتيجة عوامل متعددة من بينها النشاط الصهيوني في أوساطهم، وخاصة نشاط أولئك الذين أطلق عليهم اسم مبعوثي يهود فلسطين، الذين كانوا يرسلون من فلسطين لجمـــع التبرعـــات والمســـاهمات للمعـــاهد التلموديـــة «اليشيفوت» ولفقراء فلسطين من اليهود، ويطلق على الواحد منـــهم بالعبريـــة «شدار» وهي اختصار للكلمات الآرامية «شلوحادي ربان» وبالعبرية «شالياح شل ربانيم» أي مبعوث الحاخامات. ومن بين مهام هـــؤلاء المبعوثيـــن حـــث إخوانهم اليهود على الهجرة إلى فلسطين ودعم الاستيطان اليهودي بها، والعمل في مجال التدريس والتوجيه في أصول الشريعة والعبادات وإثارة الرغبة لـدى اليهود في الخلاص وتقوية الروابط بين فلسطين والشتات اليهودي[25].

إضافة إلى هذه المهام، كان المبعوثون يتدخلون في أحيان كثـــيرة فـــي حياة الطوائف المحلية، إما بمبادرة شخصية منهم أو بناء على طلب من أبنـــاء هذه الطوائف، وكانوا يتجاوزون في أحيان كثيرة طبيعة المهام الملقـــاة علـــى عاتقهم من قبل السلطة العثمانية في فلسطين -هذه السلطات التي اعـــترفت في عام 1840 بصلاحيات رئيس الطائفة اليهودية في فلسطين «هريشون لنسيون» ومنحه لقب «حاخام باشي»- ومن قبل القيادة اليهودية للطوائف التـــي كـــانوا يقومون بزيارتها. ومع هذا فقط حظوا بتأييد وحب السكان لما كانت تنعم بـــه فلسطين وحاخاماتها من مكانة مرموقة في نفوس يهود الشرق، وبضمنهم يهود إيران، وأدخل هؤلاء المبعوثون إصلاحات عديدة علـــى النظـــم الاجتماعيـــة المتبعة في أوساط الطوائف اليهودية بالشرق باستثناء طائفة اليمن، وكان يـــهود الشرق يتقبلون هذه الإصلاحات دون أي اعـــتراض علـــى أنشـــطة هـــؤلاء المبعوثين الذين سعوا لفرض العادات والتقاليد الدينية المتبعة في فلسطين علـــى

---

[25] المصدر السابق، ص135.

يهود هذه البلدان الذين كانوا يتبعون عادات مختلفة رأى المبعوثون أنها تعد خروجا خطيرا على الأصول الدينية التي من الواجب اتباعها. ولا شك أن استعداد يهود الشرق الدائم لتقبل هذه الإصلاحات هو الذي أحدث هذا التقارب بين العادات الدينية ليهود الشرق، وبين عادات يهود فلسطين.

ولم يكتف هؤلاء المبعوثون بزيارة الطوائف اليهودية المقيمة في المدن الكبرى والتي كانت لها إلى حد ما علاقات بالعالم الخارجي، بل حرصوا أيضا على زيارة الطوائف اليهودية المقيمة في القرى والضواحي والتي كانت علاقاتها بالعالم الخارجي تقتصر إما على خروج بعض أبنائها للعمل أو للاتصال بالسلطات أو على زيارة بعض الشخصيات الأجنبية لها. كما وصل هؤلاء المبعوثون الذين لم يهتموا كثيرا بالاعتبارات السياسية أو الاقتصادية، واهتموا فقط بجمع التبرعات لمصلحة الطوائف اليهودية في فلسطين، إلى الطوائف اليهودية المقيمة في المناطق النائية والتقوا بأبنائها بل وشاركوهم في أداء الصلوات[26].

وإزاء عملية دفع وحث يهود البلدان الإسلامية نحو الهجرة إلى فلسطين يذكر أن مبعوثي يهود فلسطين لم يشجعوا يهود هذه البلدان حقا على الهجرة إلى فلسطين، وذلك لأن رغبتهم الدائمة في جمع التبرعات كانت تدفعهم لرسم صورة كئيبة للغاية للضائقات الاقتصادية في فلسطين، والإفراط في تصوير حجم الضغوط التي يتعرضون لها من قبل السلطات. وكان قادة الاستيطان اليهودي القديم في فلسطين لا يرحبون، في واقع الأمر،. بإنضمام المزيد من المهاجرين، لأن الزيادة في تعداد المهاجرين كانت تعني حتما توزيع التبرعات المحدودة التي تصلهم (الحلوقاه) على عدد أكبر من المحتاجين[27].

---

[26] المصدر السابق، ص137-138.

[27] المصدر السابق، ص139.

تفيد المصادر التاريخية أن هجرة يهود الشرق، وبضمنهم يهود إيران، إلى فلسطين كانت حتى منتصف القرن التاسع عشر محدودة للغاية، واندمج معظم المهاجرين الذين قدموا إلى فلسطين حتى ذلك الحين في حياة الطائفة اليهودية السفاردية، وشغل البعض منهم بضعة مناصب قيادية في الحياة الدينية للطائفة اليهودية في فلسطين. فقد شغل، على سبيل المثال، الحاخام «شلومو عدني» الذي هاجر من عدن إلى فلسطين في عام 1570 منصب حاخام الطائفة اليهودية في الخليل. كما كان الحاخام «شلومو شرعبي» الذي هاجر من اليمن في عام 1740 واحدا من بين الذين شغلوا عدة مناصب قيادية في فلسطين، حيث شغل بعد هجرته من اليمن منصب رئيس مدرسة «القبالاه» الدينية في القدس «بيت إيل» (بيت الرب)... ومن بين هؤلاء الحاخامات أيضا الحاخام «رحاميم بن حاييم هكوهين» الذي هاجر من كردستان إلى القدس ورأس الطائفة اليهودية بها (1754–1767). وعلى كل حال لم يتزايد تعداد المهاجرين من بلدان الشرق إلى فلسطين إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة في عقد الثمانينات منه. وبدأ هؤلاء المهاجرون بعد أن تزايد تعدادهم في الانفصال عن الطائفة اليهودية السفاردية وأصبحوا يشكلون طوائف مستقلة، كما أنهم أصبحوا بطبيعة الحال منفصلين عن حياة الطائفة اليهودية الإشكنازية في فلسطين[28].

وللبحث في تفاصيل عملية هجرة يهود إيران إلى فلسطين، لا بد من اعتبار أن هذه الهجرة جاءت في سياق هجرة عامة ليهود بلاد الشرق الإسلامي إلى فلسطين، مرت بخمس مراحل أو فترات زمنية لكل من هذه الفترات سماتها، وهذه الفترات الخمس هي:

---

[28] المصدر السابق، ص141.

1- الهجرة الفردية (1812-1880).

2- الهجرة بأعداد كبيرة (1880-1914).

3- مرحلة الهجرة غير الشرعية (1915-1998).

4- الهجرة الجماعية (1949-1952).

5- مرحلة الهجرات اللاحقة (1953-1997).

وجدير بالذكر أنه في بعض المراحل السابقة كانت إيران ممرا لهجرة يهود من بلدان مجاورة عربية وأجنبية وبعض هجرات اليهود القادمين من أوروبا، وخاصة شطرها الشرقي قبل وبعد الحرب العالمية الثانية.

خلال مرحلة الهجرة الفردية اليهودية إلى فلسطين هاجرت أعداد محدودة من يهود البلدان الإسلامية، وأتت حركة الهجرة الأولى من كردستان خلال عام 1812، تلتها مرحلتها الهجرة من إيران خلال الأعوام 1815-1841)[29]. وخلال المرحلة الثانية(1880-1914) هاجرت أعداد كبيرة من يهود إيران إلى فلسطين في أعقاب الحملة الإعلامية التي نظمها «أهارون هكوهين» في شيراز عام 1891 وحث فيها اليهود على الهجرة[30].

وتعترف المصادر التاريخية اليهودية أنه مما لا شك فيه أن المعلومات التي وصلت ليهود الشرق من اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين ساهمت في تشجيعهم على الهجرة، ويجب أن نشير في هذا المجال إلى أن الكثيرين من هؤلاء الأوائل لم يأتوا إلى فلسطين إلا لزيارة الأماكن المقدسة وكان معظمهم من يهود إيران الذين فروا بعد حادثة مشهد، كما عاد بعض المهاجرين الذين قدموا إلى فلسطين نتيجة الخطابات التي تلقوها من ذويهم والتي دعوهم فيها

---

[29] المصدر السابق ذاته.

[30] المصدر السابق، ص142.

إلى الهجرة مؤكدين أن اليهود ينعمون بالهدوء في فلسطين. وتجدر الإشارة إلى أن الحاخام «أهارون هكوهين» عاد بعض أن قضى بضع سنوات في فلسطين إلى شيراز في إيران حيث دعا أبناء عائلته وأبناء الطائفة اليهودية في المدينة للهجرة إلى فلسطين. وقد نجحت هذه الحملة الإعلامية، فيما يبدو، حيث هاجر للقدس بعد مضي عام واحد فقط على حملته الإعلامية هذه ما يقرب من ألف يهودي إيراني كان معظمهم من شيراز. ومن الواضح أن المعلومات التي بعثها يهود الشرق إلى ذويهم هي التي جعلتهم يشعرون بإمكان الحياة في فلسطين.

وكان من بين العوامل التي شجعت يهود الشرق على الهجرة أن هذه الفترة شهدت نهضة شبه مسيحانية في الفكر اليهودي شجعت بدورها يهود هذه البلدان على الهجرة. وينطبق هذا الأمر على يهود اليمن الذين هاجروا في عام 1881 ويهود إيران الذين هاجروا في عام 1891، وعلى كل حال فإن هذه الهجرات كانت تعبر عن حب يهود الشرق وارتباطهم بفلسطين وعن إحساسهم بإمكان الاستيطان بشكل فعلي فيها[31].

وتجدر الإشارة إلى أن السلطات العثمانية لم تعارض هجرة يهود اليمن والعراق وكردستان إلى فلسطين لأنهم تابعون لولايات السلطنة. أما يهود إيران فقط كان خطر ترحيلهم من فلسطين قائما، لأن الوالي العثماني في القدس في عام 1894 قام بتجميعهم بغرض ترحيلهم من فلسطين، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل وخاصة بعد أن تدخلت جهات عديدة حالت دون تنفيذ هذا الأمر.

وقد حالت الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي واجهها المهاجرون في القدس، وإحساسهم بخيبة الأمل من واقعهم، دون تزايد عدد المهاجرين. وكان من أبرز المشكلات التي واجهوها أن الطائفة اليهودية في القدس كانت

---

[31] المصدر السابق، ص143.

منقسمة إلى طوائف عديدة حرصت كل طائفة منها على مصالح أبنائها فقــط. وبالإضافة إلى هذا كانت هناك صعوبات عديدة في توفير الســكن المناسـب للمهاجرين وفرص العمل المناسبة، وكان من بين السمات المميزة للهجرة إبان هذه الفترة حدوث انخفاض ملحوظ في تعداد المهاجرين، وقيام قادة المـهاجرين بتنظيم جماعات خاصة بهم، وقيام كل جماعة بتشييد أحياء خاصة بهم، وكــان هؤلاء المهاجرون الجدد يعتمدون في أنشطتهم على مساعدة قادة الاســتيطان اليهودي للقدس والمؤسسات اليهودية الأوروبية[32].

وتذكر الوثائق الرسمية للخارجية الإيرانية أنه خــلال الاضطرابـات الواسعة التي شهدتها مدينة القدس بعد دخول القوات الانكليزية بقيادة الجـنرال اللنبي إليها عام 1917، حدثت هجرة واسعة لليهود من فلسطين حيث وصــل عدة آلاف إلى مصر، قادمين من القدس والشام. وغالبية هؤلاء مــن التابعيـة الروسية والفرنسية. وبين هؤلاء عدد من أتباع الدول الأخرى. وبســبب فقـر هؤلاء المهاجرين، فإن الحكومة المصرية – الانكليزية خصصت أماكن لسـكن هؤلاء اليهود وشكلت لجنة باسم «لجنة مهاجري بيــت المقــدس والشــامات» هدفها تقديم الدعم والإغاثة لهم.

وبين أولئك المهاجرين، كان هناك 51 يهوديا إيرانيــا إلا أن القنصــل الإيراني في مصر لم يكن على علم بمجيئهم، وكــان هــؤلاء قــد انصــاعوا لدعايات مراكز مرتبطة بالصهيونية الدولية في إيران (مثل الإليانس)، وتركـوا وطنهم سعيا وراء الجنة الموعودة. إلا أن الفقر دفعهم إلى الهجرة إلى غربـــة ثانية[33].

وحول دور يهود الشرق، وبضمنهم يهود إيران، في المســاهمة فــي شراء الأراضي في فلسطين خلال هذه المرحلة، تشير وثائق وزارة الخارجيـة

---

[32] المصدر السابق، ص144.

[33] د. ولايتي، مصدر سابق، ص90-92.

الإيرانية بوضوح إلى أن مجموعة من اليهود، ظهرت في تلك المرحلة بمظهر التجار، وقامت بجمع الليرات الإنكليزية من أسواق إيران والعراق، عبر شرائها بالروبية الهندية. وكان هذا العمل يعني حصولهم على العملة الأوروبية القوية، مقابل دفعهم الروبية الهندية التي تفتقد أي غطاء، في عملية تهريب سببت أضرارا كبيرة لاقتصاد العراق وإيران ووفرت في نفس الوقت مصادر تمويل لشراء أراضي الفلسطينيين. أما النتيجة الأخرى لهذه السياسة، فهي شحة العملة الصعبة في سوقي البلدين (الليرة الاسترلينية) وارتقاع قيمتها بشكل كبير مما أدى إلى انخفاض كبير في أسعار الأرض المشتراة[34].

وكان للبهائيين دور ملحوظ في هجرة يهود إيران إلى فلسطين وكان لهم دور مساند للصهيونية في فلسطين، وذلك من خلال وجود «ميرزا حبيب الله خان آل رضا» الملقب بـ «عين الملك» ممثلا دبلوماسيا لإيران في فلسطين. هذا إلى جانب وجود «المسيو اسكوينج» الذي كان يتولى منصب القنصل الفخري لإيران في حيفا قبل العام 1880، وكان المذكور يعمل في هذه المنطقة تحت إشراف القنصلية الإيرانية في مصر. إلى ذلك كان كل من «أنيس جبري» و«توفيق عفيفي» قنصلين فخريين لإيران في مدينتي يافا وعكا، واستمرا في هذا المنصب حتى عام 1935. وفي ذلك العام، أنهت وزارة الخارجية الإيرانية خدماتهما رسميا، وأبلغت ذلك إلى المفوض السامي البريطاني في فلسطين.

وقد ولد «ميرزا حبيب الله» في مدينة شيراز عام 1877م/ 1294هـ، وفي عام 1316هـ، دخل السلك الحكومي معاونا للحكومة في لاهيجان. وتقول الوثائق الموجودة أنه ابن «ميرزا رضا قناد»، المعروف بأنه من الطائفة البهائية والمقرب جدا من «عباس أفندي»[35].

---

[34] المصدر السابق، ص96-97.

[35] المصدر السابق، ص121-122.

وثارت الشكوك حول دوره في تأييد الصهاينة في فلسطين، من خلال سلبه الشؤون الفلسطينية من القنصلية الإيرانية في مصر، وضمها إلى مجموعة مسؤولياته. واستنادا إلى وثائق الخارجية الإيرانية، فإن أحد أهداف «ميرزا حبيب الله آل خان» (الذي اتخذ لقب هويدا فيما بعد) كان تولي شؤون البهائيين في فلسطين[36]. وتفيد الوثائق ذاتها أن المسؤولين في وزارة الخارجية الإيرانية كانوا يأملون من إناطة شؤون الساحة الفلسطينية بـ «حبيب الله هويدا» حل مشاكل الجالية الإيرانية، وتدعيم أسس السياسة الخارجية حيال الأزمة الفلسطينية إلا أنهم لم يحققوا هذا الهدف، بل أنهم واجهوا مشاكل أخرى جديدة. ورغم أن هويدا كان يتحدث للمسؤولين عن خطر الصهيونية وتناميها في المنطقة، إلا أنه لم يكن يفعل ذلك على سبيل الحرص على مصالح إيران الوطنية، بل بدافع من المنافسة السرية بين البهائيين والصهاينة للاستيلاء على الحكم في فلسطين.

ويبدو أن سلوك «حبيب الله هويدا» غير المقبول، قد أدى إلى عزله عن موضوع قنصلية فلسطين حوالي العام 1924، إلا أن أيد خفية تحركت لتثبته في منصبه مجددا، وذلك وفقا للمذكرة رقم 372-352-952 ت المؤرخة 12 تموز 1926 والصادرة عن وزارة الخارجية البريطانية والتي «تعلن أن السيد حبيب الله خان هويدا اعترف به من حكومة بريطانيا كقنصل عام للدولة العلية (إيران) في فلسطين»[37].

خلال هذه المرحلة ساد شكل الهجرة غير الشرعية ليهود إيران إلى فلسطين في سياق هجرة نحو أربعين ألف يهودي من بلدان الشرق الإسلامي، كان ما يقرب من نصفهم من اليمن، وكان الباقون من يهود بخارى وكردستان وإيران وأفغانستان والعراق. وكان تعيين «هيربرت صموئيل» -اليهودي

---

[36] المصدر السابق، ص132.

[37] المصدر السابق،ص137.

الديانة- في منصب المندوب السامي البريطاني في فلسطين من بين العوامل التي شجعت يهود الشرق على الهجرة. ومع هذا فإن فترة الانتداب البريطاني في فلسطين، الذي فرض قيودا عديدة على الهجرة تميزت بعدم السماح ليهود الشرق بمغادرة أوطانهم والهجرة إلى فلسطين. حسب زعم المؤرخ الإسرائيلي صموئيل أتينجر[38].

ويضاف إلى ما سبق أن السلطات الإيرانية تضامنت مع سائر الدول العربية في موقفها تجاه الصهيونية ولم تسمح لسكانها من اليهود بالهجرة. لكن حينما تأسست دولة إسرائيل كانت أعداد كبيرة من يهود الشرق قد استوطنت بها، وشكل هؤلاء نحو 12% من تعداد إسرائيل آنذاك، وفيما يتعلق بيهود الشرق الذين لم يهاجروا خلال هذه الأعوام فإنهم تمكنوا في مراحل لاحقة من الهجرة إلى إسرائيل. وشهدت مرحلة الهجرة الجماعية (1949-1952) وصول حوالي 100 ألف يهودي من العراق وكردستان، و55 ألف يهودي من اليمن وعدن، ونحو 32 ألف يهودي من إيران وأفغانستان، بذلك تزايد تعداد يهود الشرق في إسرائيل في نهايات عام 1952 فشكلوا آنذاك نحو 30% من تعداد السكان في إسرائيل[39].

ولم تكن هذه الهجرة نتيجة لحرب 1948 بين العرب والصهاينة فحسب، وإنما أيضا بسبب تدهور أوضاع يهود الشرق السياسية والاقتصادية، فشهدت إيران، على سبيل المثال لا الحصر، في نهايات عام 1950 وبدايات العام 1951، تزايدا ملحوظا في حجم الاضطهادات التي تعرض لها اليهود، بعد أن تزايدت إبان حكم محمد مصدق الذي تبنى سياسة معادية لإسرائيل،

---

[38] أتينجر، مصدر سابق، ص145.

[39] المصدر السابق، ص146.

حدة وقوة المشاعر القومية المعادية للغرب، على حد زعم المصادر التاريخية اليهودية[40].

وتذكر المصادر العربية أنه خلال حرب فلسطين قام الإيرانيون بتظاهرات شعبية مناوئة للصهيونية، وأعلنت الحكومة الإيرانية مساندتها للبلدان العربية، إلا أنها لم تمنع هجرة يهود إيران إلى فلسطين. وقد انتقل إلى فلسطين خلال السنوات الأربع 1948-1951 أكثر من 20 ألف يهودي[41].

وخلال فترة الهجرات اللاحقة ورغم نشاط الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي، اللذان عملا في أوساط يهود إيران، فقد انخفض عدد المهاجرين اليهود من إيران إلى حوالي 4900 مهاجر عام 1952 ثم إلى 1000 مهاجر عام 1953، واستمر سيل الهجرة بالانخفاض حتى عام 1958 حين ارتفع إلى حوالي 5600 مهاجر في سنة واحدة. وبذلك يكون مجموع عدد المهاجرين اليهود الذين غادروا إيران إلى فلسطين المحتلة خلال السنوات العشر 1948-1958 نحو 40 ألف مهاجر، عاد منهم إلى إيران نحو 1500 يهودي[42].

وتذكر مصادر أخرى أنه بلغ عدد المهاجرين من يهود إيران إلى فلسطين خلال الفترة الممتدة من أيار 1948 إلى أيار 1960 نحو 32 ألف يهودي من أصل 905 آلاف يهودي هو مجموع المهاجرين إلى إسرائيل خلال الفترة المذكورة[43].

---

(40) المصدر السابق، ص147.

(41) الياس سعد، «الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة»، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت 1969، ص119.

(42) المصدر السابق، ص120.

(43) وليم فهمي، الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، الجدول رقم (8)، ص112.

وحسب إحصائيات مكتب مقاطعة إسرائيل قدر عدد المهاجرين اليهود من إيران إلى فلسطين حتى عام 1966 بنحو 53 ألف مهاجر. وقدر عدد المهاجرين اليهود من إيران لعام 1967 بنحو 462 شخصا وخلال العام 1968 بلغوا 1326 شخصا، كما قدر عددهم خلال العام 1969 بنحو 2000 شخص، والعدد ذاته بالنسبة للعام 1970[44].

ورغم الأوضاع التي شهدتها إيران على الصعيد الداخلي، لم تشهد بدايات عقد السبعينات حركة هجرة يهودية ملحوظة من إيران إلى فلسطين، وتحدث عن هذا الأمر الصحفي الإسرائيلي ميشيل سلومون في صحيفة «هآرتس»، حيث وصف حال يهود إيران وخاصة الشبان منهم بقوله: «يشعر الكثيرون من الشبان اليهود أنه لا مستقبل لهم في إيران ولا تعجبهم القيادة الجديدة ليهود إيران- قيادة علمانية عصرية- ولكنها تبالغ بالحذر من الناحية اليهودية. وإن الحياة في الحرم الجامعي غير محتملة للشباب اليهودي بسبب النشاط اليساري المعادي لإسرائيل. فالأكثرية إذن تسافر لكي تدرس في إسرائيل، ولدواعي الراحة، أكثر من دواعي العقيدة الصهيونية. ويعاني الشبان الذين يبقون في إيران من التفكك الداخلي، لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا شركاء لمعظم أصدقائهم في الآراء الثورية»[45].

ولجهة إجمال أعداد اليهود التي هاجرت من إيران إلى إسرائيل خلال بعض أعوام عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، تفيد المصادر الإسرائيلية أنه هاجر من إيران ما يزيد عن 30 ألف يهودي، لكن معظمهم

---

[44] تيسير النابلسي، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان 1967، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1971، ص70.

[45] ميشيل سلومون، سلسلة مقالات حول يهود إيران، نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1971/12/1، نقلا عن «هآرتس» 1971/11/15.

هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية وإلى أوروبا الغربية وخاصة إلى انجلترا[46].

وقد رعت عملية هجرة يهود إيران إلى الولايات المتحدة الأميركية ودول أوروبا الغربية عدة منظمات صهيونية مثل: منظمة «كيح» و«جونيت» و«هياس»، التي تذكر أنها ساعدت منذ بداية ثورة الخميني في إيران في هروب ما يزيد عن ستة آلاف يهودي غادر معظمهم إلى تركيا وباكستان، ومن هناك إلى الولايات المتحدة وإسرائيل. وغادر حوالي تسعة آلاف إيراني عبر النمسا إلى الولايات المتحدة وإسرائيل، وذلك خلال السنوات 1984-1988. بنسبة 98% إلى الولايات المتحدة الأميركية و2% إلى إسرائيل[47].

ويذكر ليما سيدور مدير مكتب منظمة «هياس» في فيينا أن «هياس» قدمت منذ العام 1983، مساعدة لهجرة حوالي 10 آلاف يهودي من إيران إلى الولايات المتحدة الأميركية. وحاليا (1996) يقوم مكتب فيينا شهريا، بمساعدة حوالي 30020 يهودي إيراني على الهجرة إلى الولايات المتحدة الأميركية وكندا[48].

ويصعد الإسرائيليون حملاتهم الإعلامية، بين آونة وأخرى، لدفع يهود إيران للهجرة إلى إسرائيل، عبر التركيز على أوضاع اليهود في إيران وعلى معاناتهم، وفي هذا السياق يزعم الإسرائيليون أنه منذ أن اعتلى الإمام آية الله الخميني السلطة عام 1979 تم إعدام ما يربو على عشر يهود فضلا عن العشرات الذين أبقوا في المعتقلات[49]. وأنه في أواخر العام 1986، وفي شهر

---

[46] أتينجر، مصدر سابق، ص149.

[47] نزار حميد، التوزع الحالي ليهود العالم، مجلة «الأرض» - دمشق- العدد (12) كانون أول 1993، ص79.

[48] صلاح عبد الله (تعريب)، «صورة إيران في الإعلام الإسرائيلي»، مصدر سابق، ص28.

[49] أتينجر، مصدر سابق، ص44.

تشرين الثاني منه، تزايدت عمليات اضطهاد اليهود في إيــران وأن الكثــيرين منهم قد هربوا إلى الخارج، وأن حوالي 500 يهودي على الأقل موقوفين فــي السجون الإيرانية بتهمة الصهيونية. وإن عدد اليهود الذين هاجروا من إيـــران مؤخرا وصل إلى حوالي 800 شخص[50].

وسبق للصحافة الغربية أن شاركت الصحافة الإسرائيلية فــي حملتــها الإعلامية حول يهود إيران بغية التشكيك والنيل من إيران، فذكـــرت بعــض الصحف الغربية أن إيران سمحت بهجرة عدد من اليـــهود الإيرانييــن إلــى إسرائيل في نهاية العام 1986، وتوالت أنباء بعدها عن موافقة إيران الســـماح بتهجير نحو 30 ألف يهودي إلى إسرائيل عبر تركيا، وأن 600 يهودي بــالفعل قد وصلوا، في حينه، إلى إسرائيل. كما كشف وزير الخارجية النمساوي، أنــه منذ العام 1983 تم تهجير 500 يهودي من إيران إلى النمسا عبر باكستان[51].

ومما لا بد ذكره أن هذه الحملة هدفت في أحد جوانبها إلـــى التغطيــة على اعترافات إسرائيلية سابقة بفشل جهود بذلت لتهجير يهود إيران، ومنـــها قول الصحفي الإسرائيلي إيتان مور، في صحيفة «يديعوت أحرونـــوت» فــي عددها الصادر في 1978/12/24 «من الصعب أن نعرف نغمة تعني أن يــهود إيران مع الفكرة الصهيونية. ومن المؤسف بالنسبة للكثيرين منـــهم، أن دولــة إسرائيل هي دولة ككل الدول. وهم لا يفهمون لماذا ينبغي عليهم أن يــهاجروا إلى إسرائيل بالذات وليس إلى دولة أخرى»[52].

---

[50] النشرة اليومية عن الصحافة الإسرائيلية، الرقم 1986/11/254، تـــاريخ 1986/11/24، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، نقلا عن صحيفة «هآرتس» 1986/11/20.

[51] د. جمال علي زهران، «تطور العلاقات الإيرانيـــة- الإســرائيلية بيــن عــهدي الشــاه والخميني»، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 239/238 كانون الثاني/ شباط 1993، ص44.

[52] إيتان مور، «أين كنتم خلال 30 عاما» يديعوت أحرونوت 1978/11/24، مجلــة الأرض العدد (11) 1979/2/21 ص45.

وكذلك قول آخر لوزير السياحة الإسرائيلي (الحالي) موشيه كتساف (قصاب) أدلى به خلال زيارته لإيران عام 1978، بوصفه عضو كنيست (آنذاك)، وهو ما يشكل اعترافا واضحا بالفشل: «أهملت الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل اليهود في إيران، ونتيجة لذلك تتكشف الآن صعوبات كبيرة في تهجيرهم إلى البلاد، وعلى الأخص بالنسبة للجيل الشاب»[53]. وزاد على ذلك أحد نشطاء الجالية اليهودية في إيران الذي رد على خطاب ألقاه كتساف في الكنيس اليهودي في طهران، بقوله: «من المفضل أن يبقى يهود إيران في مكانهم، وألا يهاجروا إلى الولايات المتحدة الأميركية لأن غالبيتهم لن تهاجر إلى إسرائيل بطبيعة الحال»[54].

كما اعترف – في وقت لاحق، في أوائل العام 1979– «يهودا دوفيتش»، مدير دائرة الهجرة في الوكالة اليهودية، بأن يهود إيران لايرغبون في الهجرة إلى إسرائيل. واعترف أيضا بفشل الوكالة اليهودية في هذا المجال. وقال «إن من يخرج من يهود إيران يفضل الذهاب إلى الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى على المجيء إلى إسرائيل»[55].

وبعد عودة الليكود إلى السلطة في إسرائيل، أطلقت «نعومي بلومنتال» عضو الكنيست عن الليكود، حملة تستهدف دفع اليهود الإيرانيين إلى الهجرة إلى إسرائيل، وتذرعت بلومنتال التي تترأس لجنة شؤون الهجرة في الكنيست، بمقتل يهودي في أوائل شهر تموز 1996 في طهران، وقالت: «إذا استطاعت الحكومة إقناع اليهود الإيرانيين بأنهم سيتلقون لدى وصولهم إلى إسرائيل المعاملة نفسها التي حظي بها اليهود السوريون واليمنيون، فإن ذلك سيشجعهم على المجيء». وطالبت هذه اللجنة رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو بذل الجهود

---

[53] المصدر السابق ذاته.

[54] المصدر السابق ذاته.

[55] إسرائيل والثورة الإيرانية، مجلة «الأرض»، العدد (11)، 1979/2/21 ص8.

لمساعدة يهود إيران على الهجرة خصوصا عبر منحهم وضعية «يهود في ضيق»[56].

وتجدر الإشارة إلى أن قضية مقتل اليهودي سبق وأن أثارتها صحيفة «يديعوت احرونوت» قبل اسبوعين من مطالبة «بلومنتال»، إذ نشرت هذه الصحيفة تحقيقا مصورا عن التاجر اليهودي إيزوزلا لاميه الذي يبلغ من العمر 61 عاما، الذي قالت أنه وجد مشنوقا في محله في طهران وأن السلطات منعت ذويه طيلة أسبوع من دفنه. فيما قال مسؤول البرامج في الإذاعة الإسرائيلية الناطقة بالفارسية، عمر ميناشيه: «إن لاميه أغتيل بكل بساطة إنها جريمة عادية تحصل كل يوم»[57].

يهود إيران في إسرائيل

تفيد الإحصائيات السكانية الإسرائيلية الصادرة في العام 1994 أن عدد اليهود الإيرانيين في إسرائيل يقدر بنحو 134.7 ألف يهودي يشكلون نسبة 3.1% من مجموع سكان إسرائيل من اليهود[58]. هؤلاء هم مجموع ما تبقى من اليهود الإيرانيين الذين هاجروا إلى فلسطين منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى العام 1993، وأحفادهم وأحفاد أبنائهم في إسرائيل. وهؤلاء عانوا من مصاعب اقتصادية واجتماعية وسياسية قبل وبعد الإعلان عن قيام إسرائيل، إذ تشير المصادر الصهيونية إلى أن مجموعة من يهود «شيراز»، مثلا، تعرف باسم مجموعة «الملا أهرون كوهين» قدمت إلى القدس عام 1886، وعمل

---

[56] «السفير» 1996/7/20.

[57] المصدر السابق ذاته.

[58] صبري جريس وأحمد خليفة (تحرير) ومجموعة باحثين، «دليل إسرائيل العام»، بحث التركيب السكاني في إسرائيل لـ محمود ميعاري، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996، ص55.

أفرادها رعاة وعمالا في مقالع الحجارة، وكان اليهود السفارديون الآخرون يساعدونهم في الحصول على الأرض، فقاموا ببناء حي «نفي تسيدك»، وحي آخر عرف باسم «شافونات باهيم». وتذكر المصادر ذاتها أن يهود إيران شكلوا في العام 1900 منظمة خاصة بهم عرفت باسم «أوحاف زيون» كانت تهتم باحتياجات المجموعة وبتقديم المساعدة لأفرادها. وأن ممثلين عنها شاركوا في انعقاد «جمعية يهود فلسطين» عام 1902 في مستوطنة «زخرون يعقوب». وأن بعض الأغنياء من يهود إيران قاموا ببناء معبد خاص لهم في حي «البخارية» في القدس حيث كان يقيم معظم يهود «مشهد». وأن رابطة ليهود إيران الشباب أنشئت عام 1919 للاهتمام بالمهاجرين الجدد وتقديم الخدمات لهم في المجال الاجتماعي[59].

وعموما، يتواجد اليهود الإيرانيون في القدس، وفي مستوطنة بيت شيمش (جنوب غربي القدس) وفي حيفا، وتل أبيب، ومدن التطوير وخاصة بئر السبع، وفي العديد من المستوطنات الزراعية[60]. ويعملون في مجال التجارة الصغيرة في تل أبيب والقدس[61].

ولجهة تمثيلهم في أجهزة السلطة التنفيذية والتشريعية والسياسية والعسكرية، فإن اليهود الإيرانيين، يعانون بشكل عام من التمييز الطائفي بين اليهود الغربيين (الإشكناز) واليهود الشرقيين (السفارديم) فعلى صعيد تمثيلهم. في الكنيست، فإنه من بين 318 عضو كنيست هم أعضاء سبع كنيسات، تعاقبت خلال الفترة 1949-1969، كان هنالك عضو كنيست واحد فقط من يهود إيران هو «زير مردخاي»، وهو من مواليد إيران 1914، هاجر إلى

---

[59] مأمون كيوان، «اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الغيتو الجديد»، دار الأهلية، عمان، 1996، ص148.

[60] المصدر السابق، ص149.

[61] السفير 1996/7/20، مصدر سبق ذكره.

إسرائيل عام 1936، وشارك في عضوية الكنيسات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، وخدم في «الهاجاناه»، وعمل بعد ذلك موظفا في وزارة «الدفاع»، وعضو سكرتاريا مجلس عمال القدس، ورئيس القسم الثقافي فيه ورئيس اتحاد اليهود الإيرانيين في اسرائيل، وكان عضو لجنة مركزية في حزب الماباي[62].

أما عضو الكنيست الآخر من يهود إيران فهوافرايم شالوم، الذي كان عضوا في الكنيست الحادية عشرة، وهو ذو ثقافة ثانوية وله عدة دراسات في الاقتصاد والإدارة، وكان سابقا سكرتير حركة الموشافيم، وكان حزبيا من تجمع المعراخ واحتل المرتبة السادسة والثلاثين في قائمة مرشحي المعراخ في انتخابات الكنيست الحادية عشرة[63].

ولعل أبرز منصب احتله يهودي إيراني هو منصب نائب رئيس الحكومة لشؤون «العرب في إسرائيل»، الذي تبوأه موشيه كتساف، الذي دخل الكنيست ممثلا عن الليكود عام 1977، وهو من مواليد إيران عام 1945، هاجر إلى إسرائيل عام 1951، وهو خريج الجامعة العبرية في القدس في الاقتصاد والتاريخ، وخدم في الجيش الإسرائيلي في سلاح الاتصالات، وشغل في الفترة 1981-1984 منصب نائب وزير البناء والإسكان، ثم منصب وزير العمل والرفاه الاجتماعي 1984-1988 ووزيرا للمواصلات 1988-1992. وكان خلال الفترة 1974-1981 رئيس مجلس كريات ملاخي، وعمل صحفيا في صحيفة «يديعوت أحرونوت»[64]. وإضافة إلى كونه نائبا لرئيس الوزراء للشؤون العربية يتولى كتساف حقيبة السياحة في حكومة نتنياهو.

---

[62] أنيس صايغ (تحرير)، غازي دانيال (إعداد)، رجال السياسة الإسرائيليون، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1970، ص122.

[63] سعيد تيم،«النظام السياسي الإسرائيلي»، دار الجليل (بيروت) ودار الأهلية للنشر (عمان)، طبعة أولى 1989، ص542.

[64] صبري جريس، وأحمد خليفة، مصدر سابق، ص549.

وفي المؤسسة العسكرية الإسرائيلية برز شاؤول موفـــاز، وهـــو مـــن مواليد إيران 1948، هاجر إلى فلسطين مع عائلته وهو في سن التاسعة حيـــث أقام في إيلات، والتحق بالجيش الإسرائيلي عام 1966 في كتيبة مظليين، وتنقل في المراتب القيادية، ومع ذلك فشل مرتين في امتحانات الدخول إلـــى كليـــة الضباط، وبعد قيامه بتنفيذ عملية ناجحة ضد خلية فدائية فلسطينية فـــي غـــور الأردن إثر خروجه عن التعليمات سمح له بالالتحاق بكلية الضباط، وخدم فـــي الوحدة الخاصة للمظليين وكذلك في الوحدة المسماة «سييرت متكال» الخاصة، وشارك في عملية «عينتيبي». خدم قائدا للواء في شمال فلسطين حيث عمـــل سنوات في لبنان، وعين في أواخر الثمانينات قائدا لفرقة الجليل، ولم ينل رتبـة جنرال سوى في العام 1994، بعد أن خدم قائدا للجيش الإسرائيلي في الضفـــة الغربية، وانضم بعد ذلك إلى هيئة أركان الجيش الإسرائيلي حيث خدم قـــائدا للجبهة الجنوبية، ورئيسا لشعبة التخطيط ونائبا لرئيس الأركان، وتم تعيينه فـــي شهر أيار 1998 رئيسا لأركان الجيش الإسرائيلي خلفا لرئيس الأركان الســابق أمنون ليبكين شاماك[65]. ومارس مهام منهصبه الجديد في أوائل شـــهر تمـــوز 1998.

وفي المؤسسة الدينية الحاخامية، يبرز الحاخام الياهوباكشـــي دورون، وهو من أصل إيراني، الذي تم انتخابه عام 1993 حاخاما أكبر لطائفة اليـــهود السفارديم في انتخابات الحاخامية التي تجرى كل خمس سنوات من قبل هيئـــة تتألف من (80) حاخاما و(70) شخصية من بينهم وزراء وأعضاء كنيســـت. وكان دورون المرشح الوحيد لحزب «شاس» في انتخابات العام 1993 التـــي

---

[65] «السفير» 1998/5/12.

حصل فيها على (82) صوتا فيما حصل الحاخام الأكبر لطائفة اليهود الإشكناز يسرائيل مئير ليو على (71) صوتا[66].

لدى المقارنة الأولية بين أوضاع اليهود في إيـــران وإســـرائيل علـــى الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، واستنادا إلى اتجاهات حركة هجـرة اليهود من إيران، التي لم تكن غالبيتها نحو إسرائيل، نجد أن إسرائيل لا تشكل في نظر يهود إيران مكانا يحقق رغباتهم وطموحاتهم الاقتصاديـــة بالدرجـة الأولى والاجتماعية بالدرجة الثانية، فيما يبدو العامل الديني عاملا هامشيا فـــي دفع يهود إيران للهجرة نحو إسرائيل، لكن نشاط المنظمات الصهيونية الفـاعل في إيران قبل قيام الجمهورية الإسلامية، والمستتر بعد قيامها تمحـــور حـــول جعل هذا العامل عاملا أساسيا لجعل كل يهودي إيراني صهيونيا ومهاجرا إلـى إسرائيل حصرا حين تسنح له الفرصة للخروج من إيران.

---

[66] مأمون كيوان، الحاخامية ومكانتها في إسرائيل، مجلة «الأرض»، العددان (1-2) كانـــون ثاني- شباط 1994، ص55.

الفصل الثالث

إيران وفلسطين

ترجع علاقة إيران بفلسطين إلى أواخر القرن التاسع عشر. فقد أوجدت إيران ممثلية لها في فلسطين بعد أن هاجر إليها عدد كبير من التجار الإيرانيين، وكانت هذه الممثلية تهتم بالشؤون الاقتصادية والتجارية للتجار الإيرانيين، إلا أن عملها توسع إلى نشاطات أخرى، من بينها تقديم المساعدة إلى قوافل الزوار، والإعلام الثقافي، وإعداد المعلومات والتقارير الإقليمية وغير ذلك من النشاطات[1].

وقد تأثرت علاقة إيران بفلسطين خلال قرن من الزمن بما يجري من تقلبات سياسية في إيران من جهة، وبتطور الأوضاع في فلسطين من جهة ثانية، وبدور القوى الإقليمية والدولية المؤثر في منطقتي الشرق الأوسط والخليج العربي من جهة ثالثة. لذا يمكن تقسيم تاريخ هذه العلاقة إلى ثلاث مراحل، لكل واحدة منها سماتها ومحطاتها السياسية المميزة، وهذه المراحل الثلاث هي:

1- المرحلة الأولى، تمتد من العام 1897 وحتى العام 1947، شهدت فيها إيران تغيرات سياسية وتبلورت فيها بدايات الاهتمام بالشأن الفلسطيني

---

[1] د. علي أكبر ولايتي، «إيران وفلسطين (1897-1937) جذور العلاقة وتقلبات السياسة»، تعريب سالم مشكور، دار الحق، بيروت 1997، ص83.

كتعبير عن وجود اهتمام إسلامي. بما يجري في فلسطين من أحـــداث وكان هذا الاهتمام سلبياً في بعض الأحيان.

2- المرحلة الثانية، تمتد ما بين العامين 1948و 1978، وشهدت انحســـار الاهتمام الرسمي الشاهنشاهي بالقضية الفلسطينية وبالصراع العربي – الصهيوني عموماً . لكن تخلل هذه المرحلة إقامـــة علاقـــات ســـرية وحذرة بين طهران وتل أبيب وذلك على خلفية العوامل التـــي كـــانت تتحكم بالسياسة الخارجية الإيرانية في عهد الشاه.

3- المرحلة الثالثة: تبدأ بسقوط النظام الشاهنشاهي في إيران والإعلان عن قيام الجمهورية الإسلامية وتتميز هذه المرحلة بانقلاب جـــذري علـــى السياسة الخارجية الإيرانية إزاء القضية الفلسطينية لجهة التركيز علـــى البعد الإسلامي لهذه القضية وانعكاســـاتها علـــى الأوضـــاع العربيـــة والإسلامية. لذا فهناك تشابكات وتعقيدات إقليميـــة تســـتوجب تحديـــد الثوابت والمتغيرات في السياسة الخارجية الإيرانية وذلك على ضـــوء عملية التسوية في الشرق الأوسط.

بدايات الاهتمام الإيراني

سبق أن أشرنا إلى أن علاقة إيران بفلسطين بدأت في القـــرن التاســـع عشر، حيث شهدت إيران آنذاك تغيرات داخلية كان أبرزها اغتيـــال نـــاصر الدين شاه على يد ميرزا رضا كرماني في مزار «حضرة عبد العظيم» عـــام 1895 وخلفه ولي العهد مظفر الدين ميرزا الذي تســـلم العـــرش عـــام 1896 والذي أرسل وفوداً إلى مختلف الدول لابلاغها عن تسلمه عرش إيران، ومـــن تلك الدول سويسرا التي تعود علاقتها التجارية مع إيران إلـــى العـــام 1857، وهي الدولة التي انعقد فيها المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897. ورغـــم أن افتتاح أول ممثلية لإيران في سويسرا يعود إلى العام 1918، إلا أن هذا لم يمنع

من وجود ممثلين سياسيين لإيران في غالبية الدول الأوروبية، وربما سويسرا منها، تحديدا في عام 1897 الذي شهد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال السويسرية. لكن رغم هذا الوجود الإيراني في سويسرا الذي يؤكد أن تكون وزارة الخارجية الإيرانية آنذاك قد علمت بانعقاده إلا أن المجهول حتى الآن هو رد الفعل الذي صدر عن المسؤولين الإيرانيين، أو حتى طبيعة رأيهم به، في حين يؤكد أحد المؤرخين اليهود، أن أي ممثل ليهود إيران لم يشارك في مؤتمر بال[2].

بعد سنوات قليلة خضعت إيران للتقسيم بين الروس والبريطانيين وفقا لاتفاقية 1907، أي بعد عام واحد من ثورة المشروطة(الدستورية) التي أحيت في بدايتها الأمل لدى الإيرانيين. وخلال عام 1915 جرى «توزيع عادل» للمناطق الصحراوية المتبقية، وعندما لم يتبق شيء لرجال الحكومة الإيرانية، قام جمع من السياسسيين بقيادة «نظام السلطنة» بتشكيل حكومة في المنفى، في المنطقة المجاورة لحدود كرمنشاه غربي إيران. ولقد وفرت الحرب العالمية الأولى وانتصار الحلفاء ونجاح الثورة البلشفية في روسيا، ظروفا مؤاتية لبريطانيا لتوقيع اتفاق «كوكس- وثوق الدولة» الذي قضى على آخر أنفاس هذا المحتضر[الامبراطورية الإيرانية] إلا أن المقاومة البطولية للشعب الإيراني جعلت الإنكليز يدركون خطأ حساباتهم، فقاموا بوضع وتنفيذ مشروع جديد هو «إيرون سايد- ريبورتر»، والذي كان أكثر دقة من مشروع «وثوق الدولة»، إذ أعاد إيران إلى عهد حكم الاكليروس الزرادشت، ولكن في نسيج التركيبة البهلوية هذه المرة[3].

خلال هذه الفترة صدر «وعد بلفور» وبسبب ضعف الحكومة الإيرانية المركزية لم يكن هناك أية وثيقة رسمية إيرانية تحدد موقف إيران من هذا

---

[2] المصدر السابق ص58.

[3] المصدر السابق ص16.

الوعد لكن يستفاد من مضمون الكتابات المتبقية من تلك المرحلة، أن بعـــض اليهود الإيرانيين بادروا، فور إعلان وعد بلفور، إلى تنظيم تجمعات ومنتديات لعبت دوراً مهماً على صعيد العلاقة بين إيران وفلسطين فيما بعد[4].

وبعد تشكيل عصبة الأمم التي جاءت كنتاج للأحداث والتطورات التـــي شهدتها الساحة السياسية الدولية خلال العقدين الأولين من القـــرن العشـــرين، واندلاع الحرب العالمية الأولى، وظهور مبادئ الرئيس الأمريكـــي ولســـون الأربعة عشر، ومؤتمر الصلح 1919، وهي التطورات التي أدت إلـــى بـــدء مرحلة جديدة في النظام العالمي. عاد اهتمـــام إيـــران بفلســـطين نظـــراً لأن موضوع فلسطين كان في مقدمة أعمال عصبة الأمم، إذ أنه بموجب المادة 22 من ميثاقها فإن العصبة تتولى المسؤولية الدائمة وغير المباشرة، لإدارة العراق والأردن وفلسطين وسوريا. كما أنه شكلت في شباط 1921 لجنة رسمية دعيت بـــ«لجنة الوصاية» وضعت هذه البلدان تحت الوصاية البريطانيـــة، وكـــانت إيران من أوائل الدول التي انخرطت في عصبة الأمم شأنها في ذلـــك شـــأن الدول الإسلامية الأخرى الأعضاء في هذه المنظمة الدولية. وقد مثل إيران في عصبة الأمم «ذكاء الملك فروغي» وهو ماسوني عريـــق لـــم يـــهتم بطـــرح موضوع فلسطين في اجتماع لعصبة الأمم حاله في ذلك كحال بعض مندوبـــي الدول الإسلامية الأمر الذي دفع مجلس العصبة إلى عدم اختيار أي من ممثلي الدول الإسلامية لعضوية اللجنة الخاصة بفلسطين[5].

وواصلت الحكومة الإيرانية لا مبالاتها بتطورات الأوضاع في فلسطين وخاصة بعد حادثة البراق الشريف في القدس التي على أثرها بعـــث رئيـــس المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين الحاج أمين الحسيني رسالة رسمية إلـــى الحكومات الإسلامية تطلب منهم إرسال مبعوثين عنها إلى القدس، تزامناً مـــع

---

[4] المصدر السابق ص179.

[5] المصدر السابق ص479.

وصول لجنة عصبة الأمم الخاصة بفلسطين، لإظهار التضامن والدعم الـــذي يقدمه العالم الإسلامي من أجل إحقاق حقوق الفلســطينيين، وبذريعــة ضيــق الوقت، امتنعت هذه الحكومة عن إرسال مندوب عنها إلى فلسطين[6]. إلا أنـــها شاركت في أعمال المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الحاج أمين الحســـيني، إذ مثلها ميرزا يحيى دولت آبادي، وهو من معتنقي المذهب الأزلي- وهو فـــرع من البابية التي تعتقد بخلافة ميرزا يحيى صبح أزل لميرزا علي محمد بــاب[7] أما ممثل إيران الآخر فكان سيد ضياء الدين طبا طبائي رئيس وزراء إيـــران _آنذاك- الذي وفر الأرضية لمجيء السلالة البهلوية إلى حكم إيـــران، عــبر انقلاب «إسفند» عام 1921، وبعد الانقلاب انتقل طبا طبائي المعروف بميولــه الانكليزية، إلى فلسطين حيث أقام فيها وعمل في القطاع الزراعي، في منطقــة بيت حانون، وفي المؤتمر الإسلامي كان عضوا في اللجنة التنفيذية ثم أصبــح رئيسا لأمانة المؤتمر الإسلامي[8].

ويلخص الدكتور ولايتي موقف الدول الاسلامية ومنـــها إيــران إزاء فلسطين خلال المرحلة الفاصلة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية 1918-1939 بأنه موقف سلبي بسبب الأوضاع التي كانت تمر بها تلك الدول وقصــو نظر السياسيين فيها الأمر الذي أدى إلى أن «يتعامل العالم الإسلامي مع قضية فلسطين بقدر واسع من الضياع والإرتباك وعدم الاكـــتراث وربمـــا التبعيـــة أيضا»[9]. ومثال ذلك كان واضحا في اقتراح قدمه مسؤولو وزارة الخارجيـــة الإيرانية إلى المكتب الملكي الخاص عام 1936 مفاده: «إن الحد من الـــهجرة وبيع الأراضي ، واستحصال رضى الدول العربية... ليس في مصلحة حكومة

---

[6] المصدر السابق ص181.

[7] المصدر السابق ص183.

[8] المصدر السابق ص184.

[9] المصدر السابق ص211.

الشاهنشاه... إن تجميع اليهود في هذا البلد، الذي يقع في أهم موقع في قلب العالم العربي، يحمل منافع اقتصادية، إضافة إلى الأبعاد السياسية المفيدة لإيران. ذلك أن وجود هؤلاء(اليهود) الجديون البارعون في جميع العلوم والفنون وسوابقهم التاريخية المشرفة مع إيران، يمكن أن يشكل عائقاً كبيراً أمام تأسيس إمبراطورية أو اتحاد عربي تحت النفوذ الأجنبي، والذي قد يهدد في المستقبل سواحل إيران الجنوبية وحدودها الغربية، أو على الأقل يخلق متاعب ومشاكل للبلاد»[10].

وتميزت هذه الفترة من تاريخ علاقة إيران بفلسطين بوجود فجوة بين الموقف الرسمي الحكومي وموقف الشعب الإيراني المؤيد والمتضامن مع العرب والشعب الفلسطيني، هذا الموقف عبر عنه كبار رجال الدين الشيعة في إيران منذ وقت مبكر وكانوا أكثر الشرائح الاجتماعية صلابة وثباتاً في موقفهم الرافض لأي مساومة في مواجهة الخطر الصهيوني، ففي رسالة للعلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء رداً على استفتاء محمد صبري عابدين معلم الحرم القدسي الشريف يقول كاشف الغطاء في موضوع بيع الأراضي الفلسطينية، والحكم الشرعي بشأن الأشخاص الذين يشاركون في إنجاز مثل هذه المعاملات «... بعد كل هذا ألا يدركون أن هذا البيع هو حرب ضد الإسلام؟ وهل يشك أحد في أن هذا البيع أو المساعدة فيه أو السعي إليه، أو السمسرة به هو حرب على الله والنبي (ص) ، ومخالفة صريحة للإسلام؟ أخرجوا هؤلاء من الدين وساحة الإسلام وعاملوهم كالكفار، وأبعدوهم عن أي عمل، ولا تتزوجوا منهم ولا تعاشروهم ولا تتعاملوا معهم، ولا تسلموا عليهم، ولا تحادثوهم، ولا تشيعوا موتاهم، ولا تدفنوهم في مقابر المسلمين. أسماء هؤلاء يجب أن تعلق

[10] المصدر السابق ص215.

في جميع المحافل، والنوادي وتنشر في الصحف والمجـــلات تحـــت عنـــوان «الخارجون من الدين»[11].

كما عارضت نخبة علماء الشيعة الإيرانييـــن المقيميـــن فـــي العـــراق مشروع تقسيم فلسطين في عصبة الأمم ، ووجهوا برقية بهذا الخصوص إلـــى عصبة الأمم ووزارة الخارجية البريطانية جاء فيها: «نحن الممثلون الروحيون للمذاهب الإسلامية نعلن عدم رضانا واعتراضنا على قرار اللجنة الملكية بشأن تقسيم فلسطين البلد الإسلامي العربي العزيز ونعتبر ذلك ضربة موجهة إلـــى قلب الإسلام والعرب»[12].

وقد أصدر العلامة كاشف الغطاء فتاوى عدة يدعو فيها كافة المســلمين إلى الجهاد في فلسطين لأن الجهاد «بات واجباً على كل إنسان وليـــس علـــى العرب والمسلمين وحدهم»[13] وفي فتوى أخرى شرح حال المسلمين ومواقفهم، وتحديداً مواقف حكامهم تجاه فلسطين، بقوله: «حتى الآن لم نقل ما يجـــب أن نقوله، مؤتمرات تعقد وقرارات تصدر ووفود تذهب إلى لندن، ومع ذلك فـــإن قوات،الإنكليز تقوم بقتل النساء الحوامل في فلسطين وتسفك دمـــاء الأبريـــاء وتواصل هذه الممارسات بكل صلافة وتحـدٍ. أما الحجـــاز والأردن فإنـــهما يريان ويسمعان كل شيء ومع ذلك فإنهم يتجولون بكل متعة وسرور وليتـــهم اكتفوا بهذا وكفوا شرهم عن فلسطين وتوقفوا عن مساعدة الظالمين. أما عمـوم المسلمين في أقطار الأرض فليس بيدهم سوى الاحتجاج والخطابة، والضجيـج والمقالات والشعر وبعض المساعدات المادية القليلة جداً فيما يملك الكثير مـــن المسلمين، الآلاف بل الملايين من الليرات ، فهل سمع أحد أن أحد هؤلاء تبرع بألف ليرة إنكليزية لفلسطين كما يفعل اليهود في العالم لجماعتهم، رغـــم قلـــة

---

[11] المصدر السابق ص227.

[12] المصدر السابق ص228.

[13] المصدر السابق ص230.

عددهم وسوء سلوكهم؟... ومع كل هذا، ليت المسلمون يعترفون بالحقيقة ويعلنونها دون أي غطاء حقيقة أن بلاء المسلمين يكمن فيهم، وهو أكبر بكثير من بلاء الصهيونية والإنكليز. هذه الحقائق الواضحة يعلمها الجميع، لكن لا أحد يعلنها»[14].

مقاومة أسرلة الشاهنشاهية

اتسمت المرحلة الثانية من علاقة إيران بفلسطين بعد الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني عام 1948، بتعمق الفجوة بين الموقفين: الإيراني الرسمي الذي اعترف بإسرائيل ونسج معها علاقات على كافة الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية وبين الموقف الشعبي الإيراني المتضامن والداعم لكفاح الشعب العربي الفلسطيني. وقد برز التناقض بين هذين الموقفين في عدة مناسبات فإثر وقوع نكبة فلسطين خرجت في طهران، في ذلك العام، تظاهرات شعبية ضخمة تندد باغتصاب فلسطين تماما كما حدث في العواصم العربية، وقاد آية الله الكاشاني الحركة الشعبية الإيرانية التي طالبت بالتصدي للصهيونية، وعبرت الاستجابة للتحدي الصهيوني عن نفسها في حركة تأميم النفط التي ساند فيها الكاشاني الدكتور مصدق، تماما كما عبرت عن نفسها في قيام ثورة 23 تموز 1952 في مصر وتدفق الثورة العربية. وقد شهدت إيران شأن الدول العربية ودول إسلامية أخرى حملات شعبية إبان حرب فلسطين لجمع الأموال وإرسال المتطوعين. وجرى اختبار الموقع الخاص لقضية فلسطين في إيران عام 1960 حين اعترف الشاه بإسرائيل وسمح لها بتمثيل سياسي وتجاري. فقد عم الغضب قطاعات واسعة من الشعب الإيراني على

[14] المصدر السابق ص231-232.

نظام الشاه واعتبر كثيرون تعاونه مع اسرائيل بمثابة طعنة موجهة إلى كبريائهم واعتزازهم بدينهم[15].

كما أن انتفاضة الخامس عشر من خرداد سنة 1342 هجرية/شمسية (الموافق للخامس عشر من حزيران 1963) الشعبية التي راح ضحيتها الآلاف من أبناء الشعب الإيراني، وأدت إلى ترحيل الإمام الخميني إلى تركيا وبعدها إلى النجف الأشرف، ما كانت إلا ردة فعل غاضبة على سلوك النظام الحاكم المتعاون مع الصهاينة وحماتهم، ذاك التعاون الذي يتناقض مع مشاعر الجماهير والمصلحة الوطنية التي لم تر أي مبرر لدعم جهة أجنبية تغتصب أرضاً إسلامية.

ويذكر الباحث الإيراني زامل سعيدي أنه يتذكر أبناء الشعب الإيراني والكثير من الملمين بمجريات الأحداث في إيران قبل انتصار الثورة الإسلامية، العديد من المحاولات الفاشلة من قبل النظام الملكي من أجل تطبيع العلاقات بين إيران والكيان الصهيوني، والتي كانت تجابه بسخط وغضب جماهيريين عنيفين، «فعندما استدعي فريق رياضي إسرائيلي لخوض مباراة كرة قدم في طهران خرجت بعدها المظاهرات التي هزت أركان النظام الشاهنشاهي واستنفرت قوات الأمن لتفوق عدد المتفرجين في الملعب. وبناءً على تلك المشاعر الجماهيرية الرافضة كان لا مناص للنظام الملكي من المحافظة على سرية علاقاته بالكيان الصهيوني»[16].

---

[15] مجموعة مؤلفين، «العلاقات العربية – الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل»، (ندوة)، الفصل التاسع «القضية الفلسطينية في العلاقات العربية الإيرانية»، مداخلة أحمد صدقي الدجاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة أولى 1996، ص614.

[16] المصدر السابق، مداخلة زامل سعيدي، ص638.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وبموجب الشعار الذي رفعه أية الله الخميني «اليوم إيران وغداً فلسطين» الذي أخذت الجماهير الإيرانية تردده، أصبح الدفاع عن فلسطين من أولويات السياسة الخارجية الإيرانية التي وضع أسسها الخميني في بيان أوضح فيه رؤية الثورة الإسلامية في إيران للخطر الإسرائيلي على الأمن الإيراني والعربي، ومما جاء في البيان «... فليس هدف الدول الاستعمارية الكبرى من خلق إسرائيل هو احتلال فلسطين فحسب، وإنما سيكون لكل الدول العربية نفس المصير إذا أعطيت لإسرائيل الفرصة»[17].

وكان استبدال سفارة الكيان الصهيوني في طهران بسفارة فلسطين في الأيام الأولى لانتصار الثورة الإسلامية من أول القرارات التي اتخذتها الحكومة الثورية في إيران. وقد جاء هذا القرار المترافق مع قرار قطع العلاقات مع الكيان الصهيوني كأول إجراء سياسي أحدث دوياً في المنطقة حيث كان النظام الشاهنشاهي يؤمن 60% من احتياجات الكيان الصهيوني النفطية، وكان الصهاينة والشاه رأس حربة السياسة الأميركية المعادية للاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الأوسط.

ويشير سعيدي إلى أن بعض الفلسطينيين لم يستوعبوا هذا الموقف الثوري الإسلامي، حيث جاءت الحرب المفروضة العراقية – الإيرانية لتكشف واقعاً مراً في إعطاء الأولوية للاعتبارات القومية المبنية على العصبية على حساب الاعتبارات الإسلامية وتوجهاتها العالمية التي لا تحدها حدود، بل هي تنظر إلى المسلمين من حيث كونهم مسلمين إينما وجدوا.

---

[17] المصدر السابق، أحمد صدقي الدجاني، ص620.

وشعر العديد من الإيرانيين بالإحباط من جراء تغليب العواطف العصبية على المصالح الإسلامية، ولكن الشعور بالإحباط هذا لم يتجاوز حدوده، حيث لم يتسرب إلى إيمان الشعب الإيراني المسلم في عدالة القضية الفلسطينية وضرورة الدفاع عنها، باعتبارها تخص أرضا إسلامية مقدسة تعرضت للعدوان والاغتصاب، ولأن القضية الفلسطينية تشكل محورا استراتيجيا للأمة الإسلامية جمعاء[18].

وكان ذلك نتيجة لموقف مبدئي أعلنه الإمام آية الله الخميني في إحدى المناسبات ومفاده «إني أعلن بكل صراحة لرؤوساء الدول الإسلامية والعربية والعالم أجمع أن علماء الإسلام وشعب إيران المؤمن والجيش الإيراني الأبي يرتبطون بوشائج الأخوة الحقة مع الشعوب العربية والدول الإسلامية المتحررة، يشاركونهم همومهم في السراء والضراء ويعلنون استنكارهم وشجبهم لتحالف السلطة الملكية مع اسرائيل عدوة الإسلام وإيران»[19].

وقد مثل إعلان يوم القدس في آخر جمعة من شهر رمضان، مناسبة لتأكيد التزام قادة الجمهورية الإسلامية بالقضية الفلسطينية، وهذا ما أكده الخميني بقوله إن يوم القدس يوم عالمي. وليس يوما يخص القدس فقط بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين (...) إنه اليوم الذي يجب أن ينهضوا وتنهض فيه لإنقاذ القدس، وإنقاذ إخواننا اللبنانيين من هذا الظلم (...) ويجب أن نعلن لجميع القوى الكبرى في يوم القدس أن يرفعوا أيديهم عن المستضعفين ويلزموا أماكنهم. إن إسرائيل عدوة البشرية وعدوة الإنسان (...) ويوم القدس ليس يوم فلسطين فحسب إنه يوم الإسلام، يوم يجب أن ترفرف

---

[18] المصدر السابق، زامل سعيدي، ص639.

[19] الإمام الخميني والقضية الفلسطينية، منشورات العروة الوثقى، بيروت الطبعة الأولى، نيسان 1979، ص33.

فيه راية الجمهورية الإسلامية في جميع الأقطار، يوم نعلن فيه للقوى العظمى أنها لن تتمكن من التقدم في البلاد الإسلامية[20].

فيما أكد آية الله السيد علي الخامنئي مرشد الجمهورية أن «يوم القدس؛ يوم ينبغي أن تتلاحم فيه عواطف الأمة الجياشة، ومشاعرها تجاه القضية الفلسطينية، وإن تستثمر هذه العواطف والمشاعر لحل مسألة فلسطين (...) ونحن باعتبارنا شعبا يرى مصيره مرتبطا بمصير فلسطين، راغبون أن نعبئ جميع قوانا على طريق تحرير القدس الشريف»[21].

وسبق أن أشار سماحة الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام حاليا إلى أن «الهدف لشعب إيران الثوري المؤمن، ليس الوقوف عند حد الشعارات والدعايات، وإنما الهدف من أعلان آخر جمعة من شهر رمضان المبارك يوما للقدس، هو أن تتحد الشعوب والدول الإسلامية أكثر من أي وقت مضى، لتستعد للجهاد لأخذ حق الشعب الفلسطيني وإلحاق الهزيمة بالعدو الصهيوني الإمبريالي»[22].

وتجدر الإشارة إلى أنه في هذه المرحلة من مراحل علاقة إيران بفلسطين لم يعد هناك فجوة أو تناقض بين الموقفين الرسمي الحكومي والشعبي بل تم الانسجام بينهما لجهة دعم نضال الشعب الفلسطيني ولجهة مقاومة الكيان الصهيوني وحلفاءه الإقليميين والدوليين. وهذا ما جرى التأكيد عليه لدى اعتبار الإيرانيين لفلسطين وقضيتها عامل وحدة وتجمع بين العرب والإيرانيين. ولقد أجمل أحد الباحثين الإيرانيين التصور الشامل بقوله: «تتجلى القضية الفلسطينية كعامل جمع وتوحيد بين أبناء الأمة الإسلامية كافة، وطبيعي أن

---

[20] الإمام الخميني، يوم القدس يوم اتحاد المسلمين، مجلة الثقافة الإسلامية، العدد (48) آذار- نيسان 1993، ص8-12.

[21] آية الله الخامنئي، قضية القدس لم ولن يلفها النسيان، المصدر السابق، ص12-14.

[22] الشيخ رفسنجاني، تحرير القدس معالم طريق الانتصار، المصدر السابق، ص18.

ينظر إليها كوسيلة جمع بين العرب والإيرانيين، باعتبارهم منضوين تحت راية الإسلام. أما الدليل على صحة ما قيل فهو مايلي:

أولا: لقد رأى العرب في القضية الفلسطينية قضيتهم القومية، كما رأى المسلمون فيها قضيتهم الأولى، لأن فلسطين تحتضن قبلتهم الأولى ولا يمكن القبول باغتصابها. إذا عندما يتوحد السبب وتتطابق الرؤية حوله يصبح المهتمون به في صف واحد شاؤوا أم أبو.

ثانيا: وحدة المخاطر المرتبطة نوعا ما بالقضية الفلسطينية تجمع بقوة كلا من الإيرانيين والعرب وبقية المسلمين بعضهم إلى بعض. فبنظرة سريعة يمكن أن يستشف الكثير من المخاطر التي تتهدد العالم الإسلامي من قبل الصهيونية وحماتها المستكبرين (...).

ثالثا: وحدة الاستهداف، والمقصود بها أن كل الدول العربية والإسلامية مستهدفة من قبل القوى الممعنة في نهب ثروات هذه المنطقة، وإن اختلفت طريقة التعبير عن هذا الاستهداف. فمثلا يتهمون إيران بالإرهاب والتطور النووي ويهددون بضربها لهدف واحد، وهو ثنيها عن معارضة الحلول الظالمة التي يريدون فرضها في فلسطين. وفي جانب آخر، يلوحون بقطع المساعدات المالية أو تخفيضها عن مصر، وحتى يتحدثون عن معاقبتها ومطالبتها بمياه النيل لأنها تصر على أن يوقع الكيان الصهيوني على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية إذا ما أريد من الدول العربية أن توقع عليها»[23].

وعلى العكس مما يزعمه الإسرائيليون من أن قادة الثورة الإسلامية لا يميزون بين اليهودي أينما كان والصهيوني، فإن قادة هذه الثورة في مراحلها المختلفة ومن خلال تصريحاتهم والنصوص الدستورية لدستور الجمهورية

---

[23] مداخلة زامل سعيدي، مصدر سابق، ص641-642.

الإسلامية في إيران أكدوا الفصل القائم في إدراكهم بين اليهودي والصهيوني، وأوضحوا أن اليهودي الإيراني قد يتحول إلى صهيوني عندما يمارس نشاطات معادية لإيران وتخدم الكيان الصهيوني. وفي هذا السياق يذكر فهمي هويدي نسبة إلى الشيخ جعفر محمودي المسؤول السياسي عن المسجونين، ومقره في سجن قزلحصار (سجن القلعة) عام 1985، أن مجموع السجناء في مختلف السجون الإيرانية يصل إلى عشرة آلاف شخص، وأنه إضافة إلى تنظيمات اليسار فإن هنالك 35 تنظيما يمينيا آخر وضعت الثورة يدها على نشاطاتها وأن هؤلاء ثبت اشتراكهم في ثماني محاولات للانقلاب حتى سنة 1983. وكان أشهرها المحاولة التي أحبطت في قاعدة «نوجه» الجوية واشترك فيها بعض الطيارين وثبت أن البهائيين واليهود الإيرانيين من عناصرها الأساسية وأنها ممولة من قبل أحد اليهود الإيرانيين الذين هربوا إلى إسرائيل، وهو ابن المليونير الإيراني حبيب الله القانيان الذي أعدم في بداية الثورة لعلاقته بالشاه وبإسرائيل، وكان قد عرض مبلغ 500 مليون دولار ليفتدي بها حياته، ولكن عرضه رفض، ونفذ فيه حكم الإعدام[24].

كما أن مرشد الجمهورية الإسلامية آية الله علي الخامنئي أوضح من خلال لقائه مع المفكر الفرنسي روجيه غارودي في طهران أن «المسلمين لا يحملون أي ضغينة لليهود لكنهم يعارضون الصهيونية بسبب جرائمها المخزية. ولو لم تكن أميركا دولة متغطرسة ولو لم يكن الصهاينة يقترفون مثل هذه الجرائم المخزية لما اتخذنا مثل هذه المواقف ضدهم. إن نضال الشعب الإيراني ضد أميركا والصهاينة لا ينطلق من أي هوى عنصري أو ديني(...) وليست لدينا أي ضغينة أو هواجس تجاه اليهود»[25].

---

[24] فهمي هويدي، إيران من الداخل، طبعة رابعة 1991، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ص206.

[25] «الحياة»، 1998/4/22.

وهذا ما أكده بصيغة أخرى الرئيس الإيراني محمد خاتمي في سياق كلمته أمام المؤتمر العالمي للإمام الخميني وإحياء الفكر الديني «في جامعة طهران لدى انتقاده مقولة «صراع الحضارات» وتأكيده وإقراره بوجود معوقات أمام حوار الحضارات والثقافات تعود إلى رواسب تاريخية خصوصا ما خلفته الحروب الصليبية وإشارته إلى وجود «أرضية مناسبة للتفاعل والحوار مع اليهود والمسيحيين» ودعوته إلى الحؤول دون أن يصبح «الدين مطية لأطماع اقتصادية وعسكرية»»[26].

وفسر الشيخ محمد علي التسخيري وكيل وزارة الإرشاد والثقافة في إيران التوجه الإيراني العام إزاء اليهود والحوار معهم بقوله «لا مانع من ذلك الحوار إذا كان هناك يهود غير مرتبطين بالمسيرة الصهيونية الحاقدة، وهي بالواقع، يهودية منحرفة ويهودية سلبية وحاقدة. وإذا خرج العلماء اليهود من العقلية الصهيونية، فهناك مجال كبير للحوار معهم»[27].

بالمقابل عبر نائب الأقلية اليهودية الإيرانية في مجلس الشورى الإسلامي (البرلمان الإيراني) الدكتور منوتشهر الياسي، عن رؤية يهود إيران للواقع الإيراني في إشارته إلى أنه لا ينتمي إلى أي كتلة نيابية وأقيم علاقات متينة مع جميع النواب. وإشارته إلى موقف اليهود من التغيرات الداخلية في إيران ومفادها قوله «نحن نؤيد كل الجهات الرسمية... والسيد خاتمي لديه أفكارا جيدة وجديدة وهو يريد أن يرسيها في بلادنا، والطائفة اليهودية تعمل في طريق الثورة ومن أجل تقدم البلد، ولليهود طاقات وكفاءات مهمة. ونحن نعتبر أنفسنا جزءا من الثورة والدولة في إيران (...) ولا نقيم علاقات منظمة مع اليهود خارج إيران، لكننا نعرف يهودا في بلدان عدة كألمانيا وأميركا ودول أوروبية، وفي إسرائيل أيضا، ولكن لا تربطنا بهم علاقة. صلتنا

---

(26) «الحياة»، 1997/6/2.

(27) «السفير»، 1997/6/4.

بإسرائيل مقطوعة بسبب القطيعة بينها وبين الجمهورية الإسلامية، ونحن لا نسعى إلى تقارب بين إيران وإسرائيل ذلك لأننا نعتقد أن إسرائيل لا تسير في الطريق الصحيح. وبما أننا نؤمن بأن جميع المنتمين إلى الأديان التوحيدية يستطيعون التعايش بسلام في كل أنحاء العالم، كما هي الحال في إيران اليوم، فإننا نرى أن النهج المتبع في إسرائيل الآن من قتل وتعذيب وحرب هو أمر بشع. نحن نعترف ببيت المقدس قبلة لنا ونحب أن نصلي فيها ونزورها لكن هذا غير ممكن إلى أن تقوم علاقات تعاون بين إسرائيل وفلسطين على أسس العدل والإنسانية. وفي ظل هذا الحكم القائم في إسرائيل الآن لا نريد أن نقيم روابط سياسية مع إسرائيل، لكننا نشجع العلاقات الدينية والثقافية بما لا يتعارض مع مصالح الجمهورية الإسلامية وقوانينها»»[28].

إيران والتسوية

يندرج موقف إيران من عملية تسوية الصراع العربي- الصهيوني في إطار محددات علاقة إيران بفلسطين وقضيتها التي تعتبر القضية المركزية للأمة العربية والقضية الأولى للأمة الإسلامية وفق الفهم الإيراني. لذا يمكن رصد مرحلتين في تأريخ الموقف الإيراني من عملية التسوية:

- المرحلة الأولى: وتشمل مرحلة الحكم الشاهنشاهي في إيران التي شهدت في عقدها الأخير وتحديدا خلال الفترة 1973-1979 اهتمام الشاه بلعب دور في هذه العملية.
- المرحلة الثانية: تمتد من العام 1980 وحتى العام 1997 وخلالها تم تحديد المواقف السياسية للجمهورية الإسلامية في إيران إزاء محطات عديدة من

---

(28) «الحياة» 1998/6/15.

محطات عملية التسوية بدءا بخطة الأمير فهد وخطة ريغان وقمة فاس الأولى مرورا بمؤتمر مدريد للسلام وانتهاء باتفاق أوسلو.

المحطة الأولى التي عكست اهتمام شاه إيران بلعب دور الوساطة بين مصر وإسرائيل في إطار تسوية الصراع العربي – الصهيوني، تعود إلى العام 1972 إذ أنه وبعد زيارة قام بها الرئيس المصري السابق أنور السادات إلى موسكو في نيسان 1972، زار السادات طهران وأبلغ الشاه بنتائج محادثاته في موسكو، وأوضح له بأنه يطمح الآن إلى تحقيق هدفين فوريين:

1- الحصول على تأييد الشاه لمواقف مصر تجاه إسرائيل. ولم يطلب السادات وقف تصدير النفط الإيراني لإسرائيل، ولا حتى تقليص العلاقات معها. لكنه اعتقد أن هذه العلاقات تمنح الشاه نفوذا معينا في إسرائيل، وهو ما يريد استغلاله.

2- اقناع الشاه باستخدام نفوذه لدى الولايات المتحدة الأميركية من أجل تليين موقف إسرائيل، ففي ضوء موقف إيران القوي في منطقة الخليج، اعتقد السادات بأن الولايات المتحدة ستظهر اهتماما بمواقف إيران من «النزاع العربي – الإسرائيلي».

استجاب الشاه فورا لطلب السادات، وبناء على طلب من الشاه وصلت غولدا مئير رئيسة الحكومة الإسرائيلية إلى طهران في منتصف شهر أيار 1972 – في أول وآخر زيارة لها إلى هناك- واجتمعت مع الشاه الذي طلب منها تفهم مواقف مصر[29].

وفي صيف 1973، التقى الشاه بوزير الخارجية الإسرائيلي آبا إيبان في طهران وتحدث معه عن علاقة إسرائيل مع مصر، وأنه معني والسادات

---

[29] شموئيل سيجف، «المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأميركية»، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، طبعة أولى 1983، ص120-121.

بالتوصل إلى حل سياسي «للنزاع العربي – الإسرائيلي». واحتج على أن إسرائيل لا تفهم التطورات الجديدة التي تمر في الشرق الأوسط، وأنها لم تدرك وزن إيران في الشرق الأوسط أيضا. كما أنه خلال زيارته الرسمية إلى واشنطن في الصيف ذاته، ركز الشاه في حديثه مع الرئيس نيكسون على «النزاع العربي– الإسرائيلي»، وأعرب عن رأيه بأن استمرار النزاع في المنطقة قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بالسلام والاستقرار في منطقة الخليج العربي[30].

أما في أعقاب حرب 1973 فقد نشأت سياسة إيرانية متوازنة في الشرق الأوسط، وعبر عن هذه السياسة الشاه الذي أكد في حديث لمراسلين أجانب، أنه يجب على إسرائيل الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس. كما تبنى الشاه موقف الرئيس السادات بأن حرب رمضان 1973 أثبتت فشل نظرية الحدود الآمنة (الإسرائيلية). وقال أن إسرائيل كانت دائما تقول أنه لا يوجد لديها حدود أكثر أمنا من قناة السويس وهاهي القناة لم تجد نفعا، وأن الجيش المصري اجتاز القناة بسهولة وسيطر على خط بارليف بسرعة. وقد تصرفت إسرائيل حتى الآن بصلافة، وكان من غير الممكن إجراء مفاوضات منطقية معها. لكن إسرائيل أصيبت بصدمة الآن، فربما يساعد هذا الأمر موضوع السلام.

وفي مقابلة مع صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور»، يوم 1974/4/1، قال الشاه: «إن تزويد مصر وسوريا بصواريخ أرض–أرض من نوع «سكاد» قضى على النظرية الإسرائيلية بشأن حدود آمنة وقال إن الجيش السوري نجح تقريبا في احتلال كل هضبة الجولان في الساعات الست الأولى للحرب. كما أن الشاه أيد بعد ذلك إيجاد حل سياسي للقضية الفلسطينية، حتى ولو كان في إطار كيان مستقل. وذلك على الرغم من عداء إيران التقليدي لمنظمة التحرير

---

[30] المصدر السابق ص122.

الفلسطينية ومقاومتها الصلبة لمنظمات المخربين وبقيت العلاقات الإيرانية متوترة مع ليبيا فقط، حيث اتهم الشاه العقيد معمر القذافي بتمويل الحركة السرية الإيرانية ضده[31].

وتجسد التعبير الثاني عن السياسة الإيرانية المتوازنة نسبيا إزاء الصراع العربي الصهيوني، في زيارة الشاه إلى القاهرة في 1975/12/12، وفي البيان المشترك الذي صدر عنها، ظهر التغيير التدريجي الذي طرأ على موقف الشاه من القضية الفلسطينية. وقال الشاه لـ «الحوادث» اللبنانية أنه طالما لم تحل القضية الفلسطينية لن يكون هناك سلام في الشرق الأوسط، وسبق له أن أعلن في مؤتمر صحفي في قصر نيافران في 1974/11/9، قال الشاه إن رفض إسرائيل التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية من شأنه عرقلة السلام في الشرق الأوسط. كما أيدت إيران في تلك الأيام القرار 3210، الذي قبلت بموجبه منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في الأمم المتحدة. وقال الشاه في حديث آخر لمجلة «الحوادث» اللبنانية يوم 1974/12/13 أنه على الرغم من أن بعض مجموعات «إرهابية» فلسطينية قامت بتدريب مخربين إيرانيين تسللوا إلى بلادنا من أجل قتل أشخاص وتخريب منشآت، إلا أن إيران وقفت ومازالت تقف إلى جانب الفلسطينيين. ونحن نعرف كيف نميز بين عدالة القضية الفلسطينية وبين أولئك الذين يسيئون لنا»[32].

وفي هذا السياق، رفض الشاه طلبا جديدا لمنظمة التحرير الفلسطينية بشأن فتح مكتب لها في طهران. وواصلت إيران المناداة بإشراك الأردن في حل القضية الفلسطينية. وفي مقابلة مع صحيفة «عكاظ» السعودية في 1976/5/28، قال الشاه: «كيف يستطيع العرب واليهود والمسيحيون العيش بسلام في نطاق دولة علمانية بعد المذبحة البشعة التي تجري الآن بين

---

[31] المصدر السابق ص130.

[32] المصدر السابق ص135.

المسيحيين والمسلمين في لبنان. وإسرائيل هي حقيقة قائمة، ولا أرى أي ضرر من الاعتراف العربي بها»[33].

وخلال تعثر المفاوضات الإسرائيلية – المصرية، حاول شاه إيران التوسط بين القاهرة وتل أبيب، وبدا موقفه أقرب إلى موقف السادات منه إلى موقف بيغن، فقد ألمح الشاه في بعض الأحيان إلى احتمال استخدام سلاح النفط ضد إسرائيل، ففي مقابلة مع صحيفة «شيكاغو تريبيون» يوم 1978/5/24 قال الشاه: «أنه إذا لم يتم تحقيق تقدم في مسيرة السلام فسيكون بالإمكان استخدام سلاح النفط ضد إسرائيل» وأضاف أنه إذا ما اتحدت جميع الدول المنتجة للنفط في إطار الأمم المتحدة، وفرضت حظرا على تزويد إسرائيل بالنفط فقد يكون مثل هذا الحظر مفيدا. وفي مقابلة مع مراسل المجلة الأميركية «مايو إس نيوز وورلد ريبورت» يوم 1978/6/18 قال الشاه: «إن إسرائيل دولة متصلبة، وإذا ما قررت الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة العمل ضد إسرائيل فإن إيران ستستخدم سلاح النفط ضدها». وأضاف الشاه «توجد الآن إمكانية لتحقيق سلام في الشرق الأوسط، لكن تصلب إسرائيل يحول دون ذلك. وهذا التصلب يتعارض مع مصلحة إسرائيل نفسها فإسرائيل بحاجة إلى سلام وضمان لحدودها لكنه إذا كانت إسرائيل تريد الاحتفاظ بالأرض أيضا، فلن تحصل عليها أبدا»[34].

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وما تبع ذلك من أحداث بضمنها حرب الخليج الأولى، (الحرب العراقية – الإيرانية)، والغزو الإسرائيلي للبنان الذي أدى إلى إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، وإلى انعقاد قمة فاس، تبلورت تدريجيا سياسة خارجية إيرانية مختلفة إزاء الصراع العربي- الصهيوني وقضية فلسطين، فالمواقف الإيرانية إزاء مبادرة

---

[33] المصدر السابق ص146.

[34] المصدر السابق ص171.

(الأمير) فهد، وخطة ريغان وقرارات مؤتمر فاس الثاني تشكل أمثلة توضيحية لدراسة ردود أفعال إيران نحو عملية تسوية الصراع في الشرق الأوسط، فقد كانت إدانة إيران الأيديولوجية لكل المبادرات الثلاث عنيفة مطلقة. «فقد هاجمت خطة فهد كقضية مبدأ وكتعبير عن سوء نية أولئك الذين دبروها ودعموها. وكانت المبادرة بالنسبة للإيرانيين خيانة سافرة لكونها اعترافا غير مباشر بإسرائيل. وعلى صعيد آخر، فقد تم توجيه الرد على المبادرة بشكل مدروس لدعم أهداف السياسة الخارجية الإيرانية. إن الخطة التي تعكس التنافس الإسلامي السعودي- الإيراني الشديد إضافة إلى الخلافات حول الحرب العراقية- الإيرانية قد أتاحت لإيران فرصة هامة لعرض عضلاتها في الخليج وممارسة ضغط على السعودية، لذلك فقد هوجمت الخطة هجوما حادا باعتبارها خيانة سعودية للإسلام»[35].

وعندما انهارت قمة فاس الأولى، وسط أجواء الانقسامات، بدت إيران سعيدة في ادعاء شرف إحباط خطة فهد؛ فقد أصدرت وزارة الخارجية الإيرانية بيانا جاء فيه أن إيران «تعتبر فشل القمة انتصارا كبيرا للمجتمع الإسلامي والمقاتلين الصامدين في فلسطين وهزيمة مذلة لرؤساء الدول الدمى الذين باشروا الاتفاق مع الصهيونية» [36].

ونتيجة لإخفاق خطة السلام العربية التي أقرتها قمة فاس الثانية 1982، ومبادرة الرئيس الأميركي رونالد ريغان أيضا، تعززت مكانة القضية الفلسطينية في سلم أولويات السياسة الخارجية الإيرانية، وبدا هذا الأمر واضحا على خلفية تطورات وأحداث عديدة. فإزاء الاتفاق الفلسطيني- الأردني لعام 1985 كان موقف طهران شاجبا لهذا الاتفاق باعتباره «مراسم جنازة القضية

---

[35] أحمد خالدي، وحسين جعفر آغا، «سوريا وإيران تنافس وتعاون»، ترجمة عدنان حسين، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1997، ص95.

[36] المصدر السابق ذاته.

الفلسطينية» واتهمت طهران منظمة التحرير الفلسطينية بقبول قرار الأمم المتحدة رقم 242 كمقدمة للاستسلام لإسرائيل. وردا على هذا الاتفاق أعلنت طهران اعترافها الرسمي بجبهة الإنقاذ الوطني الفلسطينية، واستضافت وفدا من هذه الجبهة في طهران في شهر آب 1985 برئاسة أبو موسى زعيم فتح – الانتفاضة الذي أعلن بعد استقباله من قبل رئيس الوزراء الإيراني حسين موسوي أن الزعيم الإيراني أدان عرفات باعتباره «خطرا ليس فقط على الشعب الفلسطيني، بل على كافة حركات التحرر الإسلامية»[37].

كما استقبل القادة الإيرانيون وفي مقدمتهم آية الله الخميني زعيم حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين فتحي الشقاقي في طهران في شهر كانون الأول 1988، وذلك للمرة الأولى بعد إبعاده عن قطاع غزة من قبل إسرائيل. وقد شكلت هذه الزيارة أول محاولة حقيقية من جانب إيران لإقامة علاقة مباشرة مع الفصائل الفلسطينية العاملة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وهي سياسة امتدت لاحقا إلى حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في عام 1990. وبهذا استطاعت إيران أن تدعي أن علاقاتها لم تعد مقتصرة على حزب الله وقاعدته «الشيعية» في لبنان، بل تتطلع أيضا باتجاه علاقة متواضعة لكنها ليست هامشية مع الحركة «السنية» الإسلامية في فلسطين[38].

ولا بد من الإشارة إلى أن انهيار علاقة إيران بالقيادة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية بدا في أوجه على خلفية اتفاق 13 أيلول 1993 الفلسطيني- الإسرائيلي الذي اعتبرته طهران خيانة من قيادة م.ت.ف للطموحات الوطنية الفلسطينية، وسبق هذا الانهيار في العلاقات خلافات عديدة كان أحد عواملها الكبرى -حسب أحد الباحثين الفلسطينيين- هو التوتر الأيديولوجي بين النظرة العلمانية الوطنية لمنظمة التحرير والرؤية الإيرانية للإسلام باعتباره الأساس

---

[37] المصدر السابق ص100.

[38] المصدر السابق ص106.

الوطيد لأي كفاح ثوري حقيقي في المنطقة. ففي وقت مبكر يعود إلى زيارة عرفات الأولى إلى إيران في شباط 1979، ألح القادة الإيرانيون، بمن فيهم آية الله منتظري وهاشمي رفسنجاني على حاجة الفلسطينيين إلى تبني الإسلام والجهاد كقاعدة مبدئية للعمل. بالرغم من أن القيادة الإيرانية قد كيفت نفسها لاحقا مع التعامل مع مجموعات المعارضة الفلسطينية العلمانية الأخرى، فإن فقدان إيران للثقة بالرؤية الأيديولوجية لمنظمة التحرير الفلسطينية وإصرارها على طابعها الوطني ذي القاعدة العريضة يبدو أنهما قد أزالا الإيمان الإيراني السابق بـ «طهارة» وقدسية الحركة الفلسطينية. فكان الاستعداد الفلسطيني لعقد الاتفاق ضربة أخرى لآمال إيران المبالغ فيها بمنظمة التحرير الفلسطينية. وإن محاولة منظمة التحرير للتوسط مع إيران بخصوص مصير الرهائن الأميركيين المحتجزين في السفارة الأميركية في طهران عام 1980 قد لقيت لذلك استقبالا سيئا واعتبرت غير لائقة بحركة ثورية. وبالنسبة للإيرانيين، فإن منظمة التحرير كانت تحاول مجرد إحراز بعض المكاسب الأنانية من أزمة تواجهها حركة شقيقة، وعندما حاول السفير الفلسطيني في طهران آنذاك، هاني الحسن، أن يدعي علنا شرف إطلاق سراح عدد من الرهائن السود المحتجزين في السفارة، أصدر مكتب الخميني استنكارا شديد اللهجة. وبرزت خلافات أخرى عن اتصالات منظمة التحرير مع جماعات معادية للخميني مثل منظمة مجاهدي خلق بزعامة مسعود رجوي؛ ورفض منظمة التحرير إدانة الغزو السوفييتي لأفغانستان، لكن الخلاف الأهم كان حول الحرب العراقية-الإيرانية. ففي البداية، حاولت إيران استخدام المساعي الحميدة لمنظمة التحرير لمحاولة احتواء الدعم العربي للعراق وللحفاظ على القنوات الإيرانية مفتوحة على دول الخليج. وكان موقف عرفات الأولي يقضي برفض «الاستيلاء على الأرض بالقوة» قد أعطى بعض المصداقية للاعتقاد الإيراني بأن منظمة التحرير ستقف خلف إيران كقضية مبدأ. وفي كانون الأول 1980، التقى وفد إيراني عالي المستوى برئاسة هاشمي رفسنجاني، الذي كان آنذاك رئيسا لمجلس الشورى،

عرفات والقيادة الفلسطينية في بيروت لمطالبتها بدور أكثر فعالية بدعم إيـران في الأوساط العربية. لكن يبدو أن هذه اللقاءات والمشاورات اللاحقة عمقـت الإحساس الإيراني بخيبة الأمل في منظمة التحريـر. ومـن وجهـة النظـر الفلسطينية فإن الإيرانيين كانوا يبدون غير راغبين، أو عـاجزين عـن فـهم الموقف الدقيق لمنظمة التحرير في التوازنات العربية - العربية والقيود التـي كان يفرضها ذلك على قدرتها على التأثير على الأطراف العربي الخائفة تماما من رسالة إيران الثورية وتأثيرها المحتمل[39].

مقابل القطيعة أو إنهيار علاقة طهران مع قيادة م.ت.ف الرسمية، كـان هنالك توجه إيراني لدعم المعارضة الفلسطينية لقيادة المنظمة، علـى خلفيـة مناهضة هذه المعارضة ممثلية بـ«الفصائل العشرة» لقيادة المنظمة ونهجـها الإستسلامي والاتفاقيات التي توصلت إليها مع إسرائيل. ولكن هذا الدعم كـان متباينا نسبيا على قاعدة أيديولوجية ومعطيات موضوعيـة منـها أن موقـف حركتي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» مختلف إلى حد ما عن مواقف بـاقي الفصائل الفلسطينية المعارضة لعرفات، فمن جهة أولـى، إن مركـز الثقـل السياسي والتنظيمي لـ«حماس» و«الجهاد الإسلامي» والقاعدة الشعبية لـهما يقعان داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة وليس في مخيمات لبنان وسـورية، كما هو الحال إلى حد كبير مع المعارضة العلمانية الوطنية الأخرى. وخلافـا للجماعات أو الفصائل الأخرى، فإن «حماس» و«الجهاد الإسلامي» لم تحـولا القيام بأي تسلل عسكري عبر حدود إسرائيل أي انطلاقا من جنوب لبنان، كمـا أنهما لا تحتفظان بقواعد خارجية من أجل إنطلاق مثل هذه العمليات[40].

ورغم عدم حدوث أي تغيير جوهري في موقف إيران مـن القضيـة الفلسطينية وعملية تسوية الصراع العربي - الصهيوني، إلا أنه يبدو أن عـهد

---

[39] المصدر السابق ص153-154.

[40] المصدر السابق ص160.

القطيعة بين القيادة الإيرانية الرسمية وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي أصبحت سلطة سياسية في مناطق الحكم الذاتي المحدود قد بدأ بالتلاشي تدريجيا على خلفية الجمود في عملية تسوية الصراع العربي- الصهيوني في مساراتها التفاوضية المختلفة، وعلى المسار الإسرائيلي - الفلسطيني على وجه التحديد. ومن المؤشرات على ذلك التلاشي التدريجي -الذي قد يكون مؤقتا- استقبال الرئيس الإيراني السيد محمد خاتمي لرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات في طهران بمناسبة انعقاد القمة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في طهران في شهر كانون الأول 1997، متجاوزا بذلك الحملات الإعلامية التي شنتها الصحافة الإيرانية على عرفات قبل سنوات قليلة على خلفية خيانته للقضية الفلسطينية. وهذا التجاوز يجد مبرره الموضوعي وليس الأيديولوجي المبدئي بالنسبة للإيرانيين في رغبة إيران إيجاد موقف إسلامي موحد إزاء التحديات التي تواجه الأمتين العربية والإسلامية والحملات التي يشنها الإعلام الغربي وخاصة الأميركي والإسرائيلي على إيران. وفي هذا السياق جاء إعلان طهران الصادر عن القمة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي متضمنا إدانة «استمرار احتلال اسرائيل للأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى، ومن بينها القدس الشريف والجولان السوري وجنوب لبنان» والتأكيد على «ضرورة أن تمتنع إسرائيل عن إرهاب الدولة الذي مافتئت تمارسه متجاهلة تجاهلا تاما جميع المبادئ القانونية والأخلاقية ويحثون على إعادة النظر في أي تعاون عسكري مع إسرائيل بغية إلغاء هذا التعاون لما يشكل من مخاطر على أمن البلدان الإسلامية ويدعون إلى جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من جميع الأسلحة النووية وأسلحة الدمار الشامل وضرورة انضمام إسرائيل إلى معاهدة حظر الانتشار النووي وأن تخضع كافة منشآتها النووية لضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية»[41].

---

[41] مجلة معلومات دولية، السنة الخامسة، العدد (55) كانون الأول 1997، دمشق، ص180.

وفي السياق ذاته دعا بيان «رؤية طهران» إلى «رفض القوة أو التهديد باستخدامها – ضد الدول الإسلامية – ضد بعضها البعض أو التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى تحت أي ظرف (...) والتعاون وفقا لأحكام القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة ودون المساس بسيادة الدول الأعضاء على حماية البيئة والحفاظ عليها ومكافحة الإرهاب»[42].

وبهذا يتضح التمايز الجذري والإنقلاب السياسي الذي حدث في مسار علاقة إيران بقضية فلسطين وقضايا العرب كونها تمثل بمجموعها قضايا إسلامية وعالمية مترابطة، أدركت إيران على أساسها أن مصالحها الحيوية وأدائها لدورها الإقليمي يتطلب إحداث انفراج في علاقتها مع العرب وتوثيق روابطها التاريخية والدينية والسياسة مع الدول العربية وليس العكس، كما كان عليه الحال في عهد آل بهلوي.

وبدا جليا أن إنحياز الجمهورية الإسلامية في إيران لصالح القضية الفلسطينية بأولياته وعوامله المختلفة لم يعكس ذاته سلبيا على أوضاع اليهود في إيران الذي انسجمت مواقفهم بشكل من الأشكال وفي مناسبات متعددة مع موقف الحكومة الإيرانية المؤيد لكفاح الشعب الفلسطيني.

---

[42] المصدر السابق ص183.

الفصل الرابع

إيران وإسرائيل

قبل العام 1948 كان هناك اتصالات بين النظام الشاهنشاهي في إيران وقادة الحركة الصهيونية في فلسطين وخارجها. لكن في المرحلة التي أعقبت حرب فلسطين وإعلان قيام إسرائيل تم إرساء أسس العلاقات الرسمية بين إيران وإسرائيل، وهذا على خلفية إعلان إيران في عهد حكومة رئيس الوزراء الإيراني «ساعد» اعترافها بإسرائيل الذي بررته، آنذاك، بأنه اعتراف أمر واقع وليس اعترافاً رسمياً، إلا أن الدافع المباشر لهذا الاعتراف كما أوضحه رئيس الوزراء تبين في إعلانه «بأن الدول العربية أساءت إلى كرامة إيران عندما لم تبلغها بالمفاوضات التي دارت بين هذه الدول وإسرائيل حول اتفاقات الهدنة»[1].

هذا الاعتراف الواقعي لم يستمر طويلاً ولم يتم تدعيمه بلقاءات بين الإيرانيين والإسرائيليين إذ أنه في عهد حكومة الدكتور مصدق، وفي أعقاب اغتيال رئيس الوزراء رزم أراه في 1951/3/23، استدعت الحكومة الإيرانية ممثلها لدى إسرائيل، في 1951/7/4 تمهيداً لسحب الاعتراف بإسرائيل.

---

[1] د. جمال علي زهران، «تطور العلاقات الإيرانية الإسرائيلية بين عهدي الشاه والخميني»، مجلة «شؤون فلسطينية»، العدد 239/238 كانون الثاني -شباط 1993 ص40.

وتلا ذلك إعلان وزارة الخارجية الإيرانية في بلاغ رسمي في 1951/7/8 حل القنصلية العامة في إسرائيل[2].

تعاون وتنافس

بعد إسقاط حكومة مصدق أعاد الشاه علاقاته مع إسرائيل من جديد واعترف بها وقبل السفير الإسرائيلي د. زوي دوريل في بلاطه، كما أنه أرسل إلى تل أبيب من يمثله فيها.

وبالإضافة إلى دوريل كان في السفارة الإسرائيلية في طهران مستشارون ثقافيون وعسكريون وعدد غير قليل من الأعضاء. وقد منحت حكومة الشاه قطعة أرض في أهم شوارع العاصمة (تخت حمشيد) بمساحة عشرة آلاف متر مربع إلى إسرائيل حتى تبني عليها سفارتها[3].

واقتصادياً. شهدت العلاقات الإيرانية- الإسرائيلية تطوراً هاماً أشار إليه الكاتب البريطاني كليفورد ستانس في كتابه «إيران بعد مصدق» بقوله: إن الرأسمال الصهيوني قد نشط كثيراً في غزو الأسواق الإيرانية خاصة بعد تشريع قانون استخدام وحماية رؤوس الأموال الأجنبية الذي وضع عام 1955. ولقد بلغ معدل استيراد الرأسمال الإسرائيلي خلال الفترة آذار 1957- آذار 1969 ما يساوي 12906925 ريال. وبلغت النسبة المئوية للاستثمار الفعلي

---

[2] المصدر السابق ذاته.

[3] د. موسى الموسوي، إيران في ربع قرن،1970، دار النشر ومكانها غير مذكورين، ص134.

الإسرائيلي إلى الاستثمار المقترح 96% وجاء الكيان الصهيوني في المرتبة الرابعة عشرة من حيث الاستثمار في إيران[4].

ووظفت رؤوس الأموال الإسرائيلية في الصناعات التجميعية الإيرانية وفي مجال مياه الشرب والزراعة، وأرادها الإيرانيون أن تكون استثمارات علنية لذلك كتبت صحيفة «إطلاعات» الإيرانية في عددها الصادر بتاريخ 1959/5/30 «لقد قطعنا علاقاتنا بإسرائيل بالاسم فقط ذلك لأن الرساميل الإسرائيلية تتسرب إلى البلاد عن طريق الوكالة اليهودية وبأسماء مستعارة في شتى فروع الاقتصاد الإيراني مستفيدة ومستغلة التشريعات التأمينية التي سنتها الحكومة»[5].

ومن الصناعات التجميعية التي استثمر فيها رأس المال الإسرائيلي ماأُعلن عنه في شهر تموز 1959 حيث بدأ العمل في معمل شركة «جيب» المساهمة التي تكونت باشتراك فرع ومعمل «ويليز» في تل أبيب لصاحبه الأميركي الصهيوني صاموئيل ويليز وبين شركة «برادارت» إخوان التجارية التي يملكها يهودي إيراني.

وفي عام 1965 سمحت وزارة الاقتصاد الإيرانية لفرع شركة شاحنات «ماك» الإسرائيلية بتجميع هذه الشاحنات داخل إيران بالاشتراك مع شركة «كاوه» الإنتاجية والصناعية لصناعة السيارات المساهمة، وبلغ رأسمال هذه الشركة 80 مليون دولار يساهم الشريك الإسرائيلي بحوالي 16 مليون دولار منه إلا أنه يسجل كشريك أميركي.

---

(4) الوجه الآخر لإيران، وزارة الإعلام العراقية، مديرية الإعلام العامة دائرة شؤون الخليج العربي، بغداد 1972، ص15.

(5) المصدر السابق ذاته.

وهناك شركة «أولمبياد» المتكونة برأسمال قدره 5 ملايين دولار والتي تقوم بتجميع أجهزة الراديوات ومكبرات الصوت والأدوات والآلات الكهربائية المصنعة داخل إسرائيل والتي تشحن إلى إيران على أنها واردة من موانئ أميركية. وهناك شركة «بروكتر اند كامبل» لصنع الأدوات البلاستيكية ورأسمالها 130 مليون دولار تشارك فيها الرساميل الإسرائيلية بنسبة 40%.

أما الاستثمار الإسرائيلي في مجال مياه الشرب فمثلته شركة «يسوائيل كوربوريشن» التي قامت بمد شبكة خطوط أنابيب المياه لإرواء قرى في جنوب إيران، وخبراء إسرائيليون قاموا بأعمال الكشف والمسح المائي للسواحل، فقد نشرت صحيفة«هارتس» في أحد أعدادها الصادرة في شهر أيار 1966 أن في إيران عشرات الخبراء الإسرائيليون الذين يقيمون مع عائلاتهم ويعملون في تطوير الزراعة ومصادر المياه وفتح الطرق وأعمال البناء[6].

كما شاركت الرساميل الإسرائيلية في المشاريع الإنمائية في إيران فالشركة الإسرائيلية الكبرى التي كانت عاملة في إيران في هذا المجال هي شركة «تطوير مصادر المياه الدولية» التي مهمتها تنفيذ المشاريع والعديد منها وضعته وخططت له شركة «تاهال» الإسرائيلية. وأهم المشاريع الإسرائيلية التي نفذتها شركات إسرائيلية في إيران هي: سد داريوس الكبير بكلفة 15 مليون دولار، وهو سد ترابي على نهر خار، وهو مشروع مشترك بين شركة التطوير الدولية وشركة «سيفون» للإنشاءات. وهناك مشروع سد طارق على نهر صفيد، إضافة إلى مشاريع أخرى[7].

ونشطت في إيران شركات إسرائيلية أخرى مثل: شركة «سوليل بونيه» للبناء التي شيدت فندق انتركونتيننتال، وشركة «رسكو».

---

(6) المصدر السابق، ص17.

(7) المصدر السابق، ص18.

وشيدت «سوليل بونيه» وشركة «رانولدس» الأميركية فندق هيلتون. في حين حظيت شركة «رسكو» عام 1968 بعقد بناء مجمع دوائر تابع لوزارة الاتصالات الإيرانية بكلفة 22 مليون دولار[8].

كما أقام اتحاد شركات «كور» الإسرائيلية برئاسة عضو الكنيست مئير عميت مشاريع زراعية وصناعية كثيرة، وكذلك كان حال شركاته الفرعية: «تديران» و«تلرد» اللتان كانتا شريكتان في مصانع إنتاج محلية وزودتا السوق المدني والجيش الإيراني بمعدات متنوعة[9].

ويذكر أن التعاون الإسرائيلي- الإيراني في مجال الزراعة وتربية الحيوانات يعود للعام 1960 حيث تم الاتفاق على سبل التعاون الزراعي وتصدير الأبقار من إسرائيل إلى إيران. وافتتحت إسرائيل مركزاً لها في طهران لتقديم المشورة حول استعمال الأسمدة، وعلى المستوى العلمي تم الاتفاق على تبادل العلماء في مجال الطاقة الذرية[10]. وفي هذا المجال يروي أوري لوبراني آخر سفير لإسرائيل في إيران أن الشاه قرر استباق العراق في السباق النووي. ولذلك في نهاية العام 1977 وصل المهندس المدني الإسرائيلي موشيه سفدي إلى إيران وطلب منه الملكة بارا- التي كانت قد أعجبت بأسلوب سفدي الحديث في مونتريال- أن يخطط لبناء أحياء مماثلة في إيران. والتقى سفدى أيضاً مع المهندس ابراهام آساف مدير مكتب الشركة الإسرائيلية «خدمات هندسية» التي كانت تعمل آنذاك على إنشاء ثلاثة موانئ للأسطول الإيراني. كما التقى آساف بنداء أردلان وروى بأن لجنة الطاقة الذرية كلفته

---

[8] شموئيل سيغف: المثلث الإيراني: العلاقات السرية الإيرانية الإسرائيلية الأميركية، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، 1983، ص74.

[9] المصدر السابق، ص76.

[10] د. زهران، مصدر سابق، ص41.

بإنشاء مدينة ذرية جديدة تكون ملحقة بأصفهان بمثابة ديمونا لإيران، علـــى أن تكون مدينة حديثة تضم 100 ألف نسخة على الأقل وتوفر كل احتياجات عمال المفاعل النووي، ودعيت المدينة باسم «نوران» أي مدينة الأنوار- أصفهان[11].

أما التعاون في مجال النفط فيرجع إلى المرحلة التي أعقبت إغلاق قناة السويس عام 1967، حيث تم الاتفاق على تصدير النفط الإيراني إلى إســـرائيل وتصديره كذلك عبر إسرائيل إلى دول أوروبا الغربيـــة والولايـــات المتحـــدة الأميركية من خلال إنشاء خط أنابيب يربط بين إيلات وبئر السبع حيث ينقـــل إلى مصافي تكرير النفط في حيفا، وكذلك كانت مهمة خط أنـــــابيب إيـــلات- عسقلان على البحر الأبيض المتوسط[12].

وتفيد المعطيات المتوفرة أن إيران كانت تؤمن حاجات إسرائيل النفطية إذ كان النفط الإيراني يؤلف نسبة 90% من الاستهلاك الإسرائيلي[13].

ويشكل العام 1965 بداية العلاقـــات التجاريـــة الرســـمية الإيرانيـــة- الإسرائيلية إذ كان حجم التجارة بالنسبة لاستيرادات اسرائيل من دول الشـــرق الأوسط يزيد قليلاً عن مليوني دولار. أما مع إيران فقد بلغت قيمة الصـــادرات الإسرائيلية لإيران في ذلك العام أكثر من 430 مليون ريـــال إيرانـــي أي مـــا يعادل 6.15 ملايين دولار، أما في عام 1966 الذي أعتبر بداية التحـــول فـــي العلاقات التجارية، فخلال الستة أشهر الأولى منه بلغ مجموع واردات إسرائيل من إيران ما قيمته 674 ألف دولار بينما بلغت قيمة صادراتـــها إلـــى إيـــران 4.9 ملايين دولار وبلغ مجموع الواردات من إيران خلال العام نفســـه 1.34

---

(11) جريدة «القدس العربي» 1998/6/29، نقلاً عن عكيف الدار «هارتس» 1998/6/28.

(12) د. زهران، مصدر سابق، ص41.

(13) حسن الزين، «الثورة الإيرانية في أبعادها الفكرية والاجتماعية 1978- 1979»، إصـدار المؤلف، توزيع دار النهار، بيروت 1979، ص26.

ملايين دولار. وبلغ مجموع الصادرات إليها خلال العام نفسه ما قيمته 7.63 ملايين دولار.

وفي عام 1967 تطورت العلاقات التجارية فاحتلت إيران المركز العاشر بالنسبة للدول التي تصدر إليها إسرائيل منتجاتها، فبلغت صادرات إسرائيل إلى إيران ما يعادل 10.54 ملايين بزيادة مقدارها 2.91 مليون دولار عن العام 1966 بينما لم يزد استيرادها من إيران عن 1.3 مليون دولار عام 1967 مقابل 1.18 مليون دولار عام 1966[14].

كما بلغت واردات إسرائيل من إيران خلال النصف الأول من عام 1968 نحو 566 ألف دولار في حين بلغت صادراتها إليها 6.047 ملايين دولار. وهذا يعني أنه قد حدث زيادة في قيمة صادراتها إلى إيران عن عام 1966 قدرها 2.393 مليوناً من الدولارات رغم انخفاض استيراد إسرائيل منها[15].

وبلغت صادرات إسرائيل إلى إيران حوالي 45 مليون دولار في عام 1971 ثم إلى 120 مليون دولار عام 1975. وفي عام 1978 وصلت قيمة الصادرات الإسرائيلية إلى إيران نحو 300 مليون دولار ومن بينها صادرات مدنية بحوالي 100 مليون دولار[16].

أما العلاقات الأمنية بين طهران وتل أبيب ورغم سريتها إلا أنها كانت متطورة في كافة المجالات الأمنية والعسكرية، إذ شاركت إسرائيل في إنشاء

---

[14] الوجه الآخر لإيران، مصدر سابق، ص20.

[15] المصدر السابق،ص22.

[16] إسرائيل والثورة الإيرانية، مجلة الأرض، العدد (11) 1979/2/21، ص3.

هيئة الشرطة السرية الإيرانية «السافاك» عام 1957 عـــبر جـــهاز الموســـاد وتعاونه مع وكالة الاستخبارات الأميركية C.I.A.

وتم تبادل زيارات عديدة بين كبار المسؤولين العسكريين الإســـرائيليين والإيرانيين، وقيام إسرائيل ببيع بعض أنواع الأســـلحة إلـــى إيـــران وتبـــادل الخبرات العسكرية[17].

ومما يدل على عمق العلاقات الأمنية والعسكرية بين إيران وإســـرائيل أنه اعتباراً من العام 1961 زار طهران كافة رؤساء الأركان العامة في الجيش الإسرائيلي- باستثناء حاييم بارليف- ومعظم رؤساء الشعب في هيئة الأركـــان العامة في الجيش الإسرائيلي وقادة سلاحي الجو والبحرية. كما زار إســـرائيل كافة رؤساء أركان الجيش الإيراني، والغالبية العظمى من رؤساء الشعب فـــي هيئة الأركان العامة الإيرانية وقادة الأسلحة الإيرانية[18].

وبطبيعة الحال كان من أهداف التعاون العسكري الإيراني- الإسرائيلي في عهد الشاه، الاستفادة من الخبرات الإرهابية الإسرائيلية نظرياً وعملياً فأثناء الأحداث التي شهدتها طهران في شهر أيلول 1978، علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصر، أُشيع بأن حوالي 300 جندي إسرائيلي وصلوا طهران، على متـــــن ثلاث طائرات نقل، لقمع الإضرابات، وقال رجال الدين في المساجد أنه مـــــن غير المعقول أن يفتح الجنود الإيرانيون النار على أبناء شعبهم. وقالت صحيفة «كيهان» في عددها الصادر في 1979/6/12 أن حكومة إسرائيل أرسلت إلـــى طهران كتيبة كوماندوس مختارة لديها الخبرة في قتال المدن، ونقلت الكتيبـــــة بطائرات شركة «العال» الإسرائيلية، تلك الشركة المرتبطـــــة بالاســـتخبارات

---

[17] د. زهران، مصدر سابق، ص41.

[18] شمونيل سيغف، المثلث الإيراني: دراما العلاقات الإيرانيـــة- الإســـرائيلية- الأميركيـــة، ترجمة دار الجليل، عمان، طبعة أولى 1990، ص58-59.

الإسرائيلية. وكان قائد الكتيبة رحبعام زئيفي الذي عمل قائداً للمنطقة الوسطى في عقد الستينات ومن ثم عين مستشاراً لرئيس الحكومة الإسرائيلية لشؤون محاربة الإرهاب. وارتدى الجنود الإسرائيليون ومعهم يهود من إيران لباس الجيش الإيراني، ولكي تغطي السلطات الشاهنشاهية قدوم الجنود الإسرائيليين، روجت إشاعة بأن هذه الكتيبة، حضرت من إقليم بلوخستان. وانضم خبراء عسكريون إسرائيليون وأعضاء منظمة الدفاع اليهودية السرية المكونة من يهود إيرانيين إلى هذه الكتيبة في طهران[19].

وقد أثمرت العلاقات الاقتصادية والعسكرية عن زيادة تأثير إسرائيل في مواقف يهود إيران، وهذا ما جسدته عملية إقامة مستوطنات للخبراء الإسرائيليين في إيران، وهذا ما أكدته صحيفة «عل همشمار» في 1971/11/29 من خلال مقابلة مع أحد المشرفين على مشروع زراعي في منطقة قزوين. حيث ذكر المشرف أوري بن دايان بأن الخبراء الإسرائيليين يقومون باستغلال مساحة تقدر ب300 ألف دونم. وأنهم أقاموا عدة مستوطنات خاصة بهم وأنشأوا المدارس التي تقوم بتدريس أبناء الإسرائيليين الذين يعيشون في إيران، وقال أن المناهج التعليمية التي تطبق في هذه المدارس هي من إعداد وزارة الثقافة والتعليم في إسرائيل[20].

كان دافيد بن غوريون أول رئيس حكومة إسرائيلية يزور طهران في شهر كانون أول 1961 ثم تلاه أربعة رؤساء حكومات إسرائيليين هم: ليفي أشكول، غولدا مئير، اسحق رابين ومناحيم بيغن. وزيارات على هذا المستوى تعكس بلا ريب الأهمية التي توليها إسرائيل لعلاقتها مع إيران في كافة المجالات منها أن تبادل الزيارات الدبلوماسية وتنسيق المواقف السياسية أثمر

---

[19] شموئيل سيغف، مصدر سابق، ص19-20.

[20] الوجه الآخر لإيران، مصدر سابق، ص24.

في أحد جوانبه عن إقامة وكالة إسرائيلية تشتري أراضي إيرانية خصوصاً في المناطق القريبة من العراق، وتعمل على تدريب يهود إيرانيين على الجاسوسية وتوزيعهم على دول الخليج العربي[21].

الشاه من جانبه كان يولي أهمية كبرى لإقامة علاقات مع إسرائيل لذلك قررت حكومته في 1950/3/11، بالإجماع الاعتراف بإسرائيل ونشر الاعتراف في الجريدة الرسمية في 1950/5/20 واتخذ هذا القرار عندما كان البرلمان الإيراني في عطلة رأس السنة الإيرانية[22].

وقد طرأ تحسن كبير على النشاط الدبلوماسي الإسرائيلي في إيران لدى تعيين مئير عزري مساعداً للدكتور تسفي دورنيل. وكان مئير من مواليد إيران في عام 1924 ومنذ هجرته إلى إسرائيل عام 1950 ظل يعمل مديراً لدائرة الناطقين بالفارسية في حزب «ماباي»، ومحرراً لصحيفة «كوخاف همزراح» أي نجمة الشرق الناطقة بالفارسية[23]. وقد عين مئير لاحقاً سفيراً لإسرائيل في إيران، وبعد إعادة العلاقات بين طهران وتل أبيب في أعقاب سقوط حكومة مصدق. وعينت طهران سفارة مستقلة لها في إسرائيل برئاسة محمد تيموري وذلك في 1958/12/27[24].

وكان المسار العام للعلاقات الإيرانية- الإسرائيلية خلال عقدي الستينات والسبعينات متأثراً بالأحداث التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وتداعياتها، ففي شهر تشرين الأول من العام 1969، مثلاً، وفي أعقاب حريق المسجد الأقصى في القدس، اشتركت إيران في مؤتمر القمة الإسلامي في

---

[21] زهران، مصدر سابق، ص41.

[22] شموئيل سيغف، مصدر سابق، ص86.

[23] المصدر السابق ص96.

[24] المصدر السابق ذاته.

الرباط، والتقى الشاه مع ياسر عرفات لأول مرة. واحتج الشاه في هذه المقابلة على المساعدة التي يقدمها الفلسطينيون للحركات السرية في إيران.

وفي ربيع العام 1970 عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة، وطلب في المؤتمر من إيران قطع علاقاتها مع إسرائيل. لكنها رفضت هذا الطلب، وفي الآن ذاته لم تترك مجالاً للشك في موقفها من القدس ومستقبل الأراضي العربية المحتلة. فقد أعلن أردشير زاهدي وزير الخارجية في حكومة هويدا أثناء زيارته للأردن في ربيع العام 1970 أنه يجب على إسرائيل الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها في حرب الأيام الستة ويجب عودة القدس إلى السيادة العربية[25].

وفي هذا السياق، وفي شهر تشرين الأول من العام 1971 حيث بدأت مسيرة التصالح بين إيران ومصر تؤثر على العلاقات الإسرائيلية-الإيرانية، زار طهران مدير مكتب رئيس الحكومة الإسرائيلية تيدي كوليك ليقدم نصائح للحكومة الإيرانية بشأن تطوير السياحة، واقترح تنظيم احتفالات بمناسبة مرور 2500 سنة على ارتقاء الملك كوروش العرش الفارسي، وأقيمت الاحتفالات لكن الحكومة الإيرانية لم توجه دعوة لإسرائيل للمشاركة فيها بسبب تصلبها وعدم مرونتها في علاقاتها مع العالم العربي[26].

لكن المواقف الإيرانية المعلنة إزاء إسرائيل لم تمنع من قيام كل من رئيسة الحكومة الإسرائيلية غولدا مئير بزيارة طهران في منتصف شهر أيار 1972، والتي أعقبها تغييرات في رئاسة البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية في طهران، فقد تم تعيين أوري لوبراني سفيراً لإسرائيل في طهران بدلاً من مئير عزري الذي شغل هذا المنصب لمدة 12 عاماً متواصلاً.

---

(25) شموئيل سيغف، مصدر سابق، ص113.

(26) المصدر السابق، ص117.

كما زار رئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين طهران في شهري نوفمبر 1974 وآب 1975، وتبعه في زيارة طهران في شهر أيلول 1976 شمعون بيريس بالمقابل كان وزير الخارجية الإيراني عباس علي خلعتبري الوزير الإيراني الوحيد الذي زار إسرائيل في شهر آذار 1977 وحل ضيفاً آنذاك على يغئال ألون في كيبوتس «غينو سار».

وجاءت هذه الزيارات المتكررة للمسؤولين الإسرائيليين إلى طهران على خلفية خشية إسرائيلية من أن يؤدي توسط الشاه بين إسرائيل ومصر إلى خلق ضغط في مواضيع يصعب على إسرائيل الصمود أمامها. ومن تلك المواضيع: مسألة تزويد إسرائيل بالنفط الإيراني، وبيع الأسلحة التي أصبحت عنصراً هاماً في الصادرات الإسرائيلية إلى إيران[27].

لكن مصدر الخشية الإسرائيلية الأساسي جاء من جملة المتغيرات الداخلية التي شهدتها إيران وأدت إلى الإطاحة بالشاه ونظام حكمه، وإلى إلحاق خسائر سياسية كبيرة بإسرائيل من جراء سقوط الشاه، وقد لخص أريئيل غيناي المحرر السياسي لصحيفة «يديعوت أحرونوت» هذه الخسائر السياسية والاقتصادية على النحو التالي: «

- تفقد إسرائيل مصدر نفط كان يبدو مأموناً في الماضي، فقد زودتنا إيران بقسم هام من الوقود الذي نحتاجه.
- تفقد إسرائيل أنبوب النفط إيلات- عسقلان المزود الوحيد أو شبه الوحيد للنفط، وكان هذا الأنبوب مخصصاً لنقل النفط من الخليج إلى أوروبا.
- تفقد إسرائيل زبوناً هاماً لمنتجاتها الزراعية وبضائعها الصناعية.

---

[27] المصدر السابق، ص144- ص151.

- تفقد إسرائيل إحدى البلدان النادرة جداً في قربها لنا والتي تستطيع إسرائيل أن تمدها بالطاقة التكنولوجية، في الوقت الذي تضمن فيه العمل والربح لشركات إسرائيلية معينة.
- في المجال الاستراتيجي- السياسي تفقد إسرائيل حليفاً قوياً ضد السيطرة العربية على جنوب البحر الأحمر.
- تفقد إسرائيل حليفاً في الصراع ضد التغلغل السوفياتي.
- تفقد إسرائيل واحدة من الدول الإسلامية القليلة التي كانت مستعدة لتأييد مبادرة السادات لإقامة علاقات عادية بين إسرائيل وجاراتها»[28].

أما مناحيم بيغن رئيس الحكومة الإسرائيلية الذي كان قد زار إيران قبل عام من سقوط نظام الشاه فعلق على هذا الأمر بقوله:« في هذه الأيام التي تعود فيها القرون الوسطى إلى الشرق الأوسط في ذروة القرن العشرين ينبغي على العالم الحر الآخذ بالتقلص أن يعترف بالدور الخاص الذي قامت به إسرائيل، والذي سوف تستمر في القيام به في هذه المنطقة الصاخبة المضطربة من العالم (...) إسرائيل هي جزء من العالم الحر، وهي الحليفة الوفية المخلصة القوية المستقرة الوحيدة للعالم في الشرق الأوسط»[29].

وشاطره في هذا الموقف يوري أفنيري في صحيفة «هاعولام هزه» بقوله:« آية الله الخميني وأنصاره هم أعداء دولة إسرائيل بكل معنى الكلمة (...) بل لا يوجد في أي مكان في العالم العربي ظاهرة عداء أعمى كهذا

---

(28) إسرائيل والثورة الإيرانية، مصدر سابق، ص4.

(29) المصدر السابق، ص5.

لإسرائيل، كما هو قائم بين الثوار الدينيين في إيران (...) ولذلك عدة أسباب عملية وعقائدية والنتيجة هي رهيبة ومخيفة»[30].

إيران بلا صهاينة

عشية نجاح الثورة الإسلامية في إيران وترجمة لشعار الخميني «اليوم إيران وغداً فلسطين» أعلن مهدي بازركان رئيس أول حكومة في عهد الجمهورية الإسلامية، في 1979/2/17، عن قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران وإسرائيل وإيقاف علاقات البريد والطيران بين الدولتين، وإيقاف تزويد إسرائيل بالنفط الإيراني، وإغلاق مكاتب شركة «العال» الإسرائيلية للطيران رسمياً، وتحويل سفارة إسرائيل بعد إلغائها إلى مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية، وإعادة الدبلوماسيين الإيرانيين المقيمين في إسرائيل إلى إيران والطلب إلى الدبلوماسيين الإسرائيليين مغادرة إيران.

تأسيساً على القرارات الإيرانية في عهد الجمهورية الإسلامية كان طبيعياً أن تكون المواقف الإيرانية معادية للولايات المتحدة الأميركية بوصفها «الشيطان الأكبر» ولإسرائيل بوصفها «الشيطان الأصغر» وذلك انسجاماً مع مبادئ الثورة التي سبق وأن حددها آية الخميني في مناسبات عديدة بقوله:« لا تبرموا المعاهدات الأخوية مع إسرائيل عدوة الإسلام والمسلمين، والتي سببت في تشريد أكثر من مليون مسلم مستضعف، لا تجرحوا مشاعر المسلمين، لا تطلقوا أيدي إسرائيل وعملائها الخونة، لتعبث في أسواق المسلمين. أكثر من هذا، لا تعرضوا اقتصاد البلاد إلى الأخطار، على حساب تحقيق مصالح

---

[30] حليم أحمد، الثورة الإيرانية والصراع العربي- الإسرائيلي، (تقرير)، مجلة شؤون فلسطينية عدد 88/87 شباط، آذار 1979 ص260.

إسرائيل وعملائها في إيران»[31]. وقوله في مناسبة أخرى :« إن التعاون مع إسرائيل، سواء كان بيع الأسلحة أو مواد التفجير أو النفط لها، يعتبر حراماً ومخالفاً صريحاً للشريعة الإسلامية، وإن إقامة العلاقات مع إسرائيل وأذنابها (سواء كانت سياسية أو تجارية) يعتبر حراماً ومخالفاً للشريعة الإسلامية، يجب على المسلمين مقاطعة البضائع الإسرائيلية الواردة إلى البلاد»[32].

إزاء هذه المواقف الإيرانية الانقلابية إزاء إسرائيل، والمعبرة في الآن ذاته عن نصرة قضية فلسطين وقضايا العرب المصيرية، كان طبيعياً أن تعمد الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على الحكم في إسرائيل منذ العام 1979 وحتى 1998 إلى إتباع أساليب وسياسات متعددة إزاء إيران تتراوح ما بين التشكيك والترغيب والترهيب ومحاولات الاحتواء والمبالغة في الخطر الذي تمثله إيران على أمن ووجود إسرائيل.

بدأت حملات التشكيك بصدقية توجهات إيران إزاء قضية فلسطين على خلفية قضية الرهائن الأميركيين في السفارة الأميركية في طهران، إذ أعلنت مصادر إسرائيلية عن وجود شخص مقرب من عائلة رئيس مجلس الشورى الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني، يدعى سايروس هاشمي، وهو رجل أعمال أميركي من أصل إيراني، أنه كان له دور في المفاوضات التي سبقت الإفراج عن 52 رهينة أميركية الذين احتجزوا في طهران في تشرين الثاني من العام 1979[33].

---

[31] الإمام القائد في مواجهة الصهيونية، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الثانية، 1404 هجري، ص20.

[32] المصدر السابق ذاته.

[33] شموئيل سيغف، المثلث الإيراني، دراما العلاقات... ، مصدر سابق ص27.

وتواصلت هذه الحملة، عندما كشفت بعض الصحف الغربية أن إيران سمحت بهجرة عدد من اليهود الإيرانيين إلى إسرائيل في نهاية العام 1986. وبعدها توالت الأنباء عن موافقة إيران على السماح بهجرة نحو 30 ألف يهودي إلى إسرائيل عبر تركيا وأن 600 يهودي إيراني بالفعل كانوا قد وصلوا في حينه إلى إسرائيل. وأنه منذ العام 1983 تم تهجير 500 يهودي من إيران إلى النمسا عبر الباكستان.

وسياسياً، ذكر أن الرئيس علي أكبر خامنئي عقد اجتماعا سرياً مع وزير الخارجية الإسرائيلية شمعون بيريس على هامش اجتماعات الأمم المتحدة في نيويورك، وأن بيرس تعهد بحث الإدارة الأميركية على تحسين علاقاتها مع إيران، في حين أبدى خامنئي استعداد بلاده للمساعدة على الإفراج عن الرهائن الأميركيين في لبنان مقابل تزويد طهران بصفقة أسلحة تتضمن صواريخ أرض- جو وقطع غيار لطائرات الفانتوم الأميركية لدى إيران[34].

بداية هذه الحملة الإعلامية تعود إلى بدايات الحرب العراقية-الإيرانية عندما بدأت وسائل الإعلام تتحدث عن إمدادات من الأسلحة الإسرائيلية لإيران، وتزايدت بعد سقوط طائرة أرجنتينية على الأراضي السوفياتية في شهر تموز 1981، وكشف ذلك عن عملية تهريب أسلحة إسرائيلية إلى إيران. وادعت صحيفة بريطانية أن إيران سلمت إسرائيل 1000 صورة جوية للمفاعل النووي العراقي كانت طائرة فانتوم إيرانية قد التقطتها، مما مكن إسرائيل من تخطيط الغارة الجوية على المفاعل النووي العراقي في 1981/6/6. وأفادت معلومات أخرى أن إسرائيل قدمت لإيران معدات عسكرية لاستخدامها في الحرب ضد العراق بقيمة 27 مليون دولار، وأكد على هذه المعلومات أرئيل شارون وزير «الدفاع» الإسرائيلي آنذاك، هذا إلى جانب معلومات أخرى

---

[34] د. زهران، مصدر سابق، ص44.

قدرت قيمة الأسلحة الإسرائيلية التي أرسلت إلى إيـــران بنحـــو 200 مليـــون دولار[35].

وقد أكدت مصادر عراقية رسمياً وجود تعاون عسكري بين إســـرائيل وإيران، وذكرت أن مستشارين إسرائيليين ساهموا في تدريب القوات الإيرانيـة وأن بعضهم شارك في معارك الأهواز عامي 1986/1985. وفي ضوء الهزائم الإيرانية في معارك الفاو وعجز الطيران الإيراني عن القيام بمهام قتالية تلقـى قائد سلاح الجو الإسرائيلي مردخاي هود دعوة من رئيس البرلمان الإيرانـــي هاشمي رفسنجاني لزيارة إيران والبحث في وضع خطة لتطوير السلاح الجـو الإيراني[36].

مردخاي هود من جهته كشف النقاب عن أنه زار إيران سراً ثـــلاث مرات منذ مطلع العام 1985 وحتى 1987، وذلك تلبية لدعوة الجنرال الإيراني علي أحمدي الذي كان قد زار إسرائيل «عشرات المرات» منذ العـــام 1984. ونقل تاجر سلاح نمساوي عن الجنرال هود قوله أن زيارته الأخيرة لإيـــران كانت في مطلع شهر أيار 1987، واستغرقت قرابة الأسبوعين. التقى خلالـــها مع الإمام الخميني وتحدث معه حول جدية شمعون بيريس وزير الخارجية في عقد مؤتمر دولي للسلام للتوصل إلى سلام مع العرب، وهل ستترك إســـرائيل مصر تحتفظ بسيناء إلى الأبد. وذكر أيضاً أن الجنرال هود زار عـــدداً مـــن القواعد الجوية الإيرانية وبحث مع العسكريين الإيرانيين في كيفية إعادة تشغيل طائرات الفانتوم الأميركية الصنع الموجودة بحوزة سلاح الجو الإيراني والتـي تنقصها قطع الغيار. وقال تاجر السلاح النمساوي أن الجنرال هود بحث معـــه في هذا الأمر وأبلغه أنه مهتم جداً بتزويد إيران بهذه القطع سواء عبر صفقـــة

---

[35] المصدر السابق، ص43.

[36] المصدر السابق، ص45.

خاصة أو تسهيل مرور هذه القطع بين إسرائيل وإيران عبر فيينا. وأكد التاجر النمساوي أن هود نجح في عقد صفقة أسلحة لإيران تتضمن قطع غيار لطائرات الفانتوم وصواريخ بحر- بحر إسرائيلية الصنع من طراز «جبرائيل»[37].

قادة الجمهورية الإسلامية في إيران ردوا بصياغات مختلفة على حملة التشكيك المغرضة، وتحديداً فيما يتعلق بحصول إيران على أسلحة من إسرائيل، فقد صرح الإمام الخميني قائلاً: «لقد بثوا من أبواقهم تهمة مفضوحة بشأن علاقة إيران بإسرائيل، ومسألة شراء الأسلحة، مستهدفين بذلك عزل الشعوب العربية عن إيران، وخلق العداء بين المسلمين، وتعبيد الطريق أمام القوى الكبرى، وزيارة سيطرتها أكثر فأكثر. فهل يا ترى هناك شخص مطلع يجهل العداء الشديد الذي تكنه الثورة ضد إسرائيل؟... وهل يجهل أحد أن أحد أسباب اختلافاتنا مع الشاه المخلوع هو علاقاته الودية مع إسرائيل؟... من يجهل إننا نددنا بإسرائيل منذ أكثر من عشرين سنة، في خطبنا وبياناتنا، واعتبرناها صنو أميركا في الظلم، وربيبتها في الغزو والعدوان؟... ومن يجهل أن الشعب الإيراني المسلم خلال فترة الثورة الإسلامية، وفي المظاهرات المليونية الصاخبة أعلن أن إسرائيل عدوة له مثل أميركا، وقطع النفط عنهما معاً، وصب غضبه ونقمته عليهما معاً؟»[38].

وكتب حجة الإسلام سيد هادي خسروشاهي في مؤلفه« الثورة الإسلامية والإمبريالية العالمية»: « إن الذين يتهمون إيران بأنها اشترت أسلحة من إسرائيل، ينشرون الأكاذيب المضحكة لإثارة الشبهات حول أصالة

---

(37) صحيفة «الرأي العام»، الكويت، 1987/9/30.

(38) فهمي هويدي، إيران من الداخل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة 1991، ص238- 239.

وإخلاص الثورة الإسلامية في إيران ... إن إيران رغم الديون المستحقة لـــها على ربيبة أميركا أي إسرائيل، ورغم أن الشاه كان قد دفع سلفاً لإسرائيل ثمن أسلحة اشتراها منها، بمقدار 500 مليون دولار، ولم يكن قد تسلمها حين طرده من إيران، فإن إسرائيل حاولت في مـــرات عديـدة الاتصـال بالجمهوريـة الإسلامية في إيران، عن طريق أطراف أخرى، لإخبـار طـهران أن هـذه الأسلحة جاهزة، وأنها تود تسليمها إليها (ودوافعها في ذلـك مفهومـة) إلا أن رجال الثورة الإسلامية، وعلى رأسهم الإمام الخميني، رفضوا تسلم الأسـلحة، وطالبوا باسترداد المال المدفوع (من الشاه)»[39].

وقال أحد المسؤولين الإيرانيين في سياق رده علـى مسـألة السـلاح الإسرائيلي:« إن طهران في بداية الحرب كانت تشتري السلاح من السماسـرة الدوليين، وبأسعار السوق السوداء في مختلف أنحاء العالم، وإذا كان ثمة سلاح إسرائيلي تسرب إلى إيران في تلك الفترة، فإنه لا بد قد دخل من ذلك البـاب دون غيره. أما في السنتين الأخيرتين فإن التعامل مع السماسـرة قـد توقـف كقاعدة. وبدأت إيران تشتري ما تحتاجه من قطع غيار من الـدول مباشـرة. وهو ما أغلق الباب أمام أي احتمال للتسرب أو الشك في مصادر الإنتاج»[40].

ورداً على ما جاء من تصريحات أدلى بها كل من الرئيـس الإيرانـي بني صدر ومسعود رجوي زعيم منظمة مجاهدي خلق، إلى مجلة «المجلـة» السعودية، الصادرة في لندن، في عددها 82–83 ومفادها أن إيـران اشـترت أسلحة من إسرائيل بمبلغ 50 مليون دولار، وزنتها 360 ألف طن، شحنت إلـى إيران بالطائرات على مدى 12 رحلة جوية، وهي تصريحات أكدهـا أرئيـل شارون ذكرت مصادر إيرانية أن هذا الكلام مضحك إذ أنه من خلال الأرقـام

---

[39] المصدر السابق، ص239.

[40] المصدر السابق، ص240.

المذكورة يتضح حتى للأطفال بأنه كلام غير معقول على الإطلاق. فعملية حسابية بسيطة تبين كذب ادعاءات بني صدر ورجوي وصديقهما شارون. فإذا أخذنا كلامهم بعين الاعتبار، نجد أن ثمن الطن الواحد من الأسلحة والذخائر حوالي 136 دولاراً، وهذا أقل من سعر حديد الخردة التالف. ووزن الرحلة الجوية الواحدة 30 ألف طن. وهذا ما تعجز عنه السفن البحرية فكيف الطائرات الجوية.

وحول إظهار رجوي وثيقة من الحرس الثوري الإيراني تطلب طمس الكتابة العبرية عن رشاشات عوزي، رد المصدر الإيراني أن العالم كله يعرف بأنه يوجد في إيران مصنع لإنتاج مدافع عوزي منذ زمن الشاه وهذا المصنع لا يزال موجوداً ويعمل إلى الآن، وإيران ليست بحاجة إلى رشاشات عوزي حتى تشتريها من إسرائيل، لأنها تصنع في إيران[41].

وقد واصل الإسرائيليون حملة التشكيك بالمواقف الإيرانية داخل إسرائيل ذاتها وذلك على خلفية الجدل الذي دار في الأوساط الرسمية الإسرائيلية حول إعادة النظر في علاقات القطيعة بين إسرائيل وإيران، فقد كتب محرري صحيفة «هآرتس» تحت عنوان «أننسى الصداقة القديمة؟» :«فيما يتعلق بإيران فإن الجواب الأول المطلوب لهذا السؤال هو أنه ليست إسرائيل هي التي ستُعزل بل إيران. ولسنا بحاجة لدلائل كثيرة بهذا الخصوص: إن الشعارات التي تقطر سماً والمعادية لليهود ولإسرائيل التي تملأ بها إيران الفضاء وخاصة ظاهرة آيات الله التي تطالب بالمكانة السياسية في منطقتنا واستخدام حزب الله من أجل تعزيز هذه المكانة، تدل على ضعف في العرف السياسي الإيراني. وعلى هذا الأساس فإن هناك من يرى بإيران العدو الخطير بالنسبة لإسرائيل، ويتضح أن هناك من يرى بها عدواً أكثر

---

[41] المصدر السابق ص239- 240.

خطورة من العرب بمجموعهم لا بجزء منهم. وهذه الحقائق ليست موضع جدال ولكنها أيضاً ليست استنتاجاً بأن إيران تشكل اليوم مصدر قلق. وعلاوة على ذلك فإن حزب الله لا يشكل أي وزن استراتيجي في معايير إسرائيل الأمنية، وحتى ولو تعاون مع منظمة التحرير في لبنان. وكانت هذه الأمور ستتغير فيما لو ظهرت تشكيلات إيرانية على الحدود الشمالية. فهذه التشكيلات لم تظهر وحسبما هو واضح لن تظهر في المستقبل أيضاً، لكن إزاء هذا وحتى في فترة العداء المتطرف المعلن، فإن إيران تمنع ظهور التشكيلات العراقية على الحدود. وأريد أن أقول أن إيران الخميني تقوم بالمهمة التي عهدها المتفائلون بين مؤيدي العلاقة مع إيران خلال أيام العز في فترة الشاه. وهذا ما يفسر الاستعداد الإسرائيلي للمساعدة في المساعي الحربية الإيرانية ناهيك عن المعايير التجارية التي لا نحتاج لتحليل عميق للدوافع بهذا الخصوص.

وليس بمقدور السياسيين وموظفيهم ورجال الإعلام الذين يدعمونهم تغيير جوهر الحقائق الجيو-سياسية، وأن إيران حيث هي تتواجد تساعد إسرائيل وستساعدها في المستقبل حتى ولو ساد السلام بينها وبين العراق وساد السلام بيننا وبين جيراننا. وإن الافتراض بأن نظام آية الله سيدخل عاجلاً أم آجلاً مرحلة تبخره الثوري تدعمه تواريخ جميع الثورات منذ خلق العالم. وعندما سيحصل هذا فإنه يتعين على إسرائيل أن تكون مستعدة للمساعدة الجيو-سياسية، أي تدعيم -على أي صعيد ممكن- التعاون الذي يتجسد بوجود كلا الدولتين في مكانهما. وهذا يعني: عدم التعمق في الإعلانات عن القطيعة والسير باتجاه تحقيق عكسها عندما يكون الوقت مناسباً لذلك حسبما يرد على جدول الأعمال[42].

---

[42] أ. شفايتسر، أننسى الصداقة القديمة؟، هآرتس 1987/10/5، ص9.

وفي سياق آخر مختلف نسبياً أكد المؤرخ أستاذ التاريخ في جامعة بن غوريون حاجي رام، في مقابلة مع صحيفة «هآرتس»، أن الثورة الإسلامية في إيران ليست تجسيداً للشر على الأرض واتهم نظراءه الأكاديميين بالخضوع للمفهوم الأمني الإسرائيلي وتجاهل الحقائق. وعقد مقارنة بين الصهيونية والخمينية من خلال قوله «لقد وجدت الأسطورة الشيعية حول عودة الإمام المنتظر الثاني عشر، في آخر الزمان، من أجل تشجيع وتخليد السلبية، وهذه الأسطورة لا تختلف عن الفهم اليهودي المهجري الذي ينكر استعجال الخلاص (...) والثورة التي بدأت بإقامة الحركة الصهيونية تشابه الثورة التي حدثت في صفوف الشيعة، ينبغي عدم الانتظار وترك العالم يمتلئ بالشر. وينبغي على المجتمع أن يقرز مصيره بيده. إن النشاطات الثورية في إيران أو نشاطات استيطان أرض- إسرائيل على أيدي اليهود المقاتل، هي التي مهدت الطريق أمام عودة المسيح.أو عودة المهدي المنتظر وفقاً للمفهوم الشيعي. وعندما يستخدم بن غوريون الرموز والمصطلحات المتعارف عليها عندنا يكون الأمر طبيعياً، ولكن عندما يفعل الخميني الشيء نفسه، يصبح هذا الأمر غير مفهوم قطعياً»[43].

وبرر د. رام مقارنته بين الخمينية والصهيونية بالقول« كمؤرخ من واجبي فحص التجربة التاريخية الخاصة لمجتمع ما، وبالطبع تجربة الشيعة. واستناداً إلى ذلك، فإن أدوات التنفيذ المقبولة لديها لا تتطابق مع أدوات التنفيذ لدى يهود الشتات ودولة إسرائيل، لكن المسار متشابه كثيراً. وعلى سبيل المثال مسألة موت القدسيين، فلدى الشيعة مسألة موت الإمام الثالث الحسين، ومعركة كربلاء. وفي هذا السياق من هو باركوخبا الذي أحبه الشعب اليهودي

---

[43] مجموعة مؤلفين، «صورة إيران في الإعلام الإسرائيلي»، ترجمة صلاح عبد الله، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت 1997، ص40، نقلاً عن ملحق «هآرتس» الأسبوعي 1996/3/15.

بأكمله، والذي دعا إلى الحرية؟ ومن هو ترمبلدور ؟-أحد القادة الصهاينة الذي قتل في معركة تل حي-أليس ما كان حادثاً مهماً تماماً أخذ أبعـــاداً مأســاوية بهدف بلورة ثقافة صهيونية جديدة»[44].

في اتجاه معاكس، رفض البروفسور الإسرائيلي دافيد منشري مقارنـات المؤرخ رام بقوله:« المفارقات التاريخية تكون دائماً مترابطة، لكنها تقريبــاً لا تكون دائماً كاملة. المساهمة الأساسية التي قدمها د. رام كـــانت فـــي إطـــار المفارقة بين الصهيونية والخمينية. لا أرى مانعاً من القيام بمثل هذه المناورات الثقافية، لكن يجب التمييز بين الهامشي والجوهري، وبين الأساسي والطفيلـي. بالإمكان طبعاً، القيام بمقارنات بين أشياء عدة، يمكن المقارنة بين البعوضـــة والطائرة المروحية، أو بين السمكة والغواصة، ولكن هل هذه الأشياء متشـابهة من حيث الجوهر؟. التشابه بين الخمينية والصهيونية تشابه هامشـــي، مقارنـــة بالمسافة الفاصلة بين المضمون الأيديولوجي لكل من الحركتيـــن. ويكفـــي أن نقرأ ما كتبه هرتسل وما كتبه الخميني للتعرف على الفوارق. هـــل تطلعــت الحركة الصهيونية إلى إقامة دولة الشريعة؟ هـــل طـــالبت بتصديـــر وجهـــة نظرها؟»[45].

بعيداً عن محاولات إجراء مقاربات أو مقارنـــات أو مفارقـــات بيـــن الصهيونية والخمينية كان المشهد العام للعلاقات بين طهران وتل أبيب يدلـــل بوضوح على استمرار القطيعة وروح العداء الأيديولوجي والسياسي وكذلـــك الديني بشكل من الأشكال، إذ أنه وعلى خلفية اختطاف طائرة ركاب إيرانيـــة إلى إسرائيل في 1995/9/19-طلب خاطفوها حـــق اللجـــوء السياســـي إلـــى إسرائيل-اتهمت إيران رئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين بتنظيم عمليـــة

---

(44) المصدر السابق، ص43.

(45) المصدر السابق، ص61.

الاختطاف شخصياً من البداية إلى النهاية. بالمقابل طالب أعضاء كنيست من الليكود من رئيس الحكومة احتجاز الطائرة وركابها لمقايضة إيران بهدف الحصول على معلومات عن الطيار الإسرائيلي المفقود رون أراد الذي فقد بعد اسقاط طائرته في لبنان عام 1986[46].

ورغم قرار مجلس الوزراء الإسرائيلي المصغر السماح للطائرة المختطفة، التي هبطت في قاعدة عوقدا الجوية لأسباب إنسانية، بالعودة إلى طهران بركابها وملاحيها، والتحفظ على الخاطف لاستمرار التحقيق معه قبل تحديد مصيره إلا أن رئيس مجلس الشورى الإسلامي في إيران علي أكبر ناطق نوري ندد بتأخر السلطات الإسرائيلية في إعادة الطائرة الإيرانية واعتبر الأمر مخجلاً[47].

كما أثارت إيران، في وقت لاحق، مسألة معتقلين إيرانيين في إسرائيل وهم أربعة إيرانيين خطفوا في 1982/7/4 عند حاجز لميليشيا القوات اللبنانية شمال بيروت، وأعلنت القوات اللبنانية أنهم قتلوا بعد اختطافهم. لكن أحمد حبيب الله رئيس جمعية المعتقل والسجين في الناصرة أكد أن منظمته ستقوم بالإجراءات القانونية للحصول على معلومات حول مصير الإيرانيين المحتجزين في إسرائيل التي ترفض الإقرار بمكان سجنهم. وجاءت إثارة مسألة هؤلاء المعتقلين الإيرانيين على لسان وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي الذي أعلن أن بلاده لن توفر جهداً من أجل إطلاق سراح مواطنيها المعتقلين في إسرائيل. وقال« فضلاً عن الدبلوماسيين الأربعة هناك أيضاً رجل دين وجميعهم معتقلين فس إسرائيل. ونحن مستعدون لبذل كل الجهود من أجل إطلاق سراحهم، والمساعي الإيرانية لحل هذه المسألة يجب

---

(46) «السفير»، 1995/9/20.

(47) «السفير»، 1995/9/21.

أن تكون ضمن إطار مبادئ الجمهورية الإسلامية، ولم نجر أي مفاوضات مع إسرائيل لكننا لن نوفر أي جهد في سبيل إطلاق سراحهم»[48].

سياسة الاحتواء أو الغزل الإسرائيلي إزاء إيران اتبعت بعد فوز السيد محمد خاتمي في انتخابات الرئاسة الإيرانية عام 1997، حيث أعلنت إسرائيل في بيان صدر عن وزارة الخارجية الإسرائيلية أنها تأمل أن يفتح خاتمي صفحة جديدة في العلاقات الإسرائيلية-الإيرانية. وأعلنت أيضاً في 1997/8/20 أنها أوقفت بث برامج إذاعية وتلفزيونية ناطقة بالفارسية تحرض على ممارسة العنف ضد الحكومة الإيرانية الجديدة عبر القمر الصناعي الإسرائيلي «عاموس». وأوضح مسؤولون إسرائيليون أن من أسباب قرارهم وقف بث البرامج أن يكون ذلك بادرة موجهة للرئيس الإيراني الجديد محمد خاتمي الذي يُنظر إليه على أنه معتدل[49]. لكنها تراجعت عن قرار وقف البث الإذاعي أو تقليص فتراته في وقت لاحق من العام 1998، وقال المدير العام لإذاعة «صوت إسرائيل» الناطقة بالفارسية، التي مضى على تأسيسها أربعين عاماً، ناشيه أمير، أن إسرائيل ترى في هذا الصوت (الإذاعة) الموجه إلى إيران الجسر الوحيد القائم بينها وبين الشعب الإيراني». وأكد أن ملايين الإيرانيين يستمعون يومياً إلى «صوت إسرائيل» بالفارسية وأن الكثيرين منهم أصدقاء إسرائيل[50].

كان شن حملة إعلامية إسرائيلية على خلفية افتراض وجود خطر نووي- صاروخي إيراني على إسرائيل يشكل محور آخر للسياسة الإسرائيلية إزاء إيران، وقد نشطت في هذا المجال منظمة «مؤتمر رؤساء المنظمات

---

(48) «السفير»، 1997/4/10.

(49) «الرأي» الأردنية، 1997/8/21.

(50) «النهار»، 1998/4/17.

اليهودية الكبرى» التي أكدت حصولها على وثيقة رسمية لإحدى وكالات المخابرات الأميركية تحتوي على اتهام لروسيا بتقديم مساعدات شاملة لإيران تمكنها من تطوير قدرات مستقلة لإنتاج صواريخ بالستيته متوسطة المدى يمكنها وضعها في الاستخدام الفعلي خلال وقت قصير للغاية.

وقد كشفت هذه المنظمة النقاب عن هذا التقرير السري إثر اجتماع رئيسها مالكوم هونلين في أواخر شهر تشرين الثاني 1997 مع وزير الخارجية الروسي يفغيني بريماكوف الذي نفى الاتهامات الإسرائيلية والأميركية[51].

أما رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو فاعتبر إيران «خطراً مشؤوماً على المنطقة والعالم (لأن) إيران تصدر نموذجها للتطرف إلى لبنان، وإذا نجحت في خططها لامتلاك صواريخ ذاتية الدفع وأسلحة نووية وكيميائية وبيولوجية قدروا عندها مدى اتساع دائرة الرعب الذي يمكن أن تفرضه على عالمنا» وكانت هذه التصريحات خلال حفل استقباله لرئيس جورجيا أدوارد شيفاردنادزه[52].

وكذلك كان حال اسحق مردخاي وزير «الدفاع» الإسرائيلي الذي شكل فريقاً لتقييم الخطر الذي تمثله إيران، وذلك إثر تصريحات أدلى بها الرئيس محمد خاتمي هاجم فيها إسرائيل. وقد ترأس هذا الفريق كبير مستشاري مردخاي وهو ديفيد عفري. وسيتابع الفريق أربع نقاط هي: إمداد حزب الله بالمعدات، وتأييد «الإرهاب» ضد إسرائيل، والمعارضة لعملية السلام، وعدم الاعتراف بوجود إسرائيل[53].

---

(51) جريدة «الكفاح العربي»، 1997/10/9.

(52) «السفير» 1998/1/16.

(53) المصدر السابق ذاته.

رداً على المزاعم الإسرائيلية المتعلقة بالتسلح الإيراني نفى الدكتور محمود محمدي الناطق باسم وزارة الخارجية الإيرانية، تحديداً، مزاعم نتنياهو بشأن بيع أسلحة كيماوية من قبل تاجر يهودي لإيران، وجاء في تصريح له: «إن طرح المسؤولين الصهاينة مثل هذه المزاعم الواهية يؤكد القلق الذي يساورهم من الجهود التي تبذلها إيران في الأوساط الدولية لاحتواء خطر التسلح النووي الإسرائيلي»[54].

وفيما يتعلق بقضية التاجر الإسرائيلي أدانت محكمة إسرائيلية رجل الأعمال ناحوم مانبار، الذي اعتقل في شهر آذار 1997، بتهمة مساعدة دولة معادية وبيعها مواد غازات سامة ومعدات لصنع أسلحة كيماوية. وهذه الدولة هي إيران. وجاء في أقوال جهة الادعاء الإسرائيلية أن مانبار الذي عاش في فرنسا منذ عام 1985 زود إيران خلال الفترة 1990-1995 بمواد لإنتاج غاز الخردل، وغاز الأعصاب، ومعدات لصنع رؤوس حربية كيماوية وأنه تلقى لقاء ذلك من إيران 16 مليون دولار[55]. وفي وقت لاحق أصدرت المحكمة الإسرائيلية في تل أبيب قراراً بسجن مانبار لمدة 16 سنة، وجاء في قرار المحكمة لأن مانبار «فضل الملايين من الدولارات على أمن الدولة يدفعه الجشع وأشار القرار إلى أن مانبار أجرى اتصالات بشخصيات قريبة إلى الرئيس الإيراني السابق هاشمي رفسنجاني، وزود طهران بـ150 طناً من المواد السامة المستخدمة في إنتاج الأسلحة الكيماوية لتستخدمها في الحرب ضد الدولة العبرية»[56].

---

(54) «الثورة»، دمشق، 1998/6/21.

(55) «القدس العربي»، لندن، 1998/6/18.

(56) «الحياة»، لندن، 1998/7/17.

يذكر أن هذه القضية بملابساتها أثارت تساؤلات عديدة في وسائل الإعلام الإسرائيلية منها ما عبر عنه رؤوبين فدهستور أحد محرري صحيفة «هارتس» بقوله: «لو كانت إيران هي حقاً عدوة بحيث يتحول المتاجر معها إلى شخص جاسوس كيف تقوم إسرائيل بالمتاجرة معها بالسلاح بما في ذلك في السنوات التي عمل فيها مانبار وأدين جراء ذلك. صحيح أن الصفقات مع إيران كانت في مجال الأسلحة التقليدية ولكن هل بيع الأسلحة التقليدية للعدو هو عملية شرعية فقط ونقل المواد الكيماوية التي من الممكن شراؤها في السوق الحرة هو جريمة خطيرة إلى هذا الحد؟. والأكثر من ذلك فإن جزءاً كبيراً من الشركات الإسرائيلية التي تاجرت مع إيران فعلت ذلك بواسطة مانبار الذي عمل كوسيط بمصادقة وزارة الدفاع. هل حين تريد شركة «ألبيت» بيع أجهزة متقدمة للكشف وتشخيص المواد الكيماوية يجري ممثلوها لقاءات في فيينا بواسطة مانبار مع ممثلين رسميين إيرانيين ويوقعون معهم على عقود؟ هل هذا اتصال شرعي مع العدو؟ هل بيع قذائف من قبل شركة «سولتام» لإيران لا يساعد العدو؟ هل الصفقة مع مصنع «شلاون» لبيع صفايات للأقنعة الواقية الإيرانية لا يعتبر بمثابة مساعدة للعدو في حربه ضد إسرائيل؟»[57].

ودخلت إسرائيل على مسار الانفراج النسبي في العلاقات بين طهران وواشنطن في أعقاب المقابلة التلفزيونية التي أجرتها الشبكة الإخبارية التلفزيونية الأميركية الـ C.N.N مع الرئيس الإيراني محمد خاتمي، وعبرت عن اعتراضها على التطبيع أو الحوار بين واشنطن وطهران وذلك على خلفية مخاوف شديدة من أن الرئيس الأميركي بيل كلينتون ربما يكون قد أظهر استعداداً إيجابياً لفكرة الحوار مع إيران نكاية بإسرائيل وبسبب جو الخلاف

---

[57] «القدس العربي»، لندن، 1998/7/19، نقلاً عن «هآرتس» 1998/7/17.

السائد بينه وبين حكومة نتنياهو. وبالتالي إن الاقتراب من إيران هو من قبيل الضغط على إسرائيل وتخويفها من ازدياد عزلتها في الشرق الأوسط. ومن أسباب اعتراضات إسرائيل، أن الحوار بين واشنطن وإيران يمكن أن يفضي إلى تعزيز موقف سوريا في سياسة أميركا الشرق أوسطية بحكم العلاقة الوثيقة بين سوريا وإيران. لذلك أعاد اسحق مردخاي وزير «الدفاع» الإسرائيلي إثارة مسألة الخطر الإيراني لدى زيارته إلى واشنطن، وطلب منها مقاتلات متقدمة جديدة لتحديث سلاحها الجوي لمواجهة خطر إيران الاستراتيجي في بداية القرن المقبل[58].

وصعّد الإعلام الإسرائيلي حملة التشكيك بإيران أثناء انعقاد القمة الثامنة لمنظمة المؤتمر الإسلامي في طهران، من خلال معلومات أوردتها صحيفة «يديعوت أحرونوت» تفيد أنه في أواخر شهر تشرين الثاني 1997 قامت مجموعة من الخبراء الزراعيين الإسرائيليين بزيارة إيران وأرشدت مزارعين محليين، بعلم من الحكومة الإيرانية. وبلغ عدد أفراد هذه المجموعة ما بين 12 إلى 16 خبيراً إسرائيلياً في الري والزراعة. وأن هؤلاء اجتمعوا مع نائب وزير الزراعة الإيراني، ومع مسؤول كبير آخر في إيران في لقاءات وصفت بأنها غير رسمية جرت في إيران. وطلب الإيرانيون اكتساب المعرفة والخبرة الإسرائيلية في مجالات الزراعة وتحديداً زراعة القمح والقطن وفي موضوع التخلص من النفايات البيئية بواسطة الحرق.

بالمقابل ذكرت مصادر في السفارة الإيرانية في بون توجه مجموعة من خبراء زراعة من دول مختلفة إلى إيران بدعوة من وزارة الزراعة والتطوير الإيرانية، لكنها رفضت تأكيد أو نفي ما إذا كان هناك إسرائيليون في المجموعة. في حين قال البروفيسور جاد غيلبر الخبير الإسرائيلي في الاقتصاد

---

[58] «الكفاح العربي»، 1998/1/1.

الإيراني في جامعة حيفا:« إن الإيرانيين يستطيعون اتخاذ سياسة مناهضة لإسرائيل، متطرفة في المؤتمر الإسلامي، واتخاذ قرارات ضدها، ومع ذلك الحصول على مساعدة إسرائيلية شريطة أن لا تكون عليها أختام أو علامات تجارية إسرائيلية. ووقعت مثل هذه الأمور في السابق، وأنه في عهد الحرب الإيرانية-العراقية نُشرت أنباء عن صفقات سلاح بين إسرائيل وإيران ويشار إلى أن مثل هذه الأنباء لم يتم نفيها رسمياً»[59].

وفي السياق ذاته زعم الحاخام مناحيم فرومان وجود اتصالات مع الإيرانيين لإيفاد وفد من الحاخامات الإسرائيليين إلى إيران لتفقد أبناء الطائفة اليهودية فيها. وذكر أيضاً أنه في أواسط شهر كانون الثاني وبوساطة ياسر عرفات قدم الإسرائيليون طلباً يتعلق بزيارة حاخامات إسرائيليين إلى إيران، وأن الجانب الإيراني رد بالإيجاب وسمى رجل دين إيرانياً للاجتماع بحاخام إسرائيلي في إحدى بلدان شمال إفريقيا[60].

وقد نفت إيران وجود اتصالات بين الأوساط الدينية الإيرانية والحاخام إلياهوباكشي دورون، حاخام إسرائيل الأكبر لليهود الشرقيين، وهو يتحدر من أصل إيراني، وأصدرت السفارة الإيرانية في الرباط بياناً أكد أن «اليهود الإيرانيين ليسوا بحاجة إلى إرشاد أو توجيه حاخام إسرائيل، وهم يعيشون من دون أية مشاكل أو قيود ويتمتعون بجميع الحقوق المدنية كبقية قطاعات الشعب الإيراني (...) وإن الكيان الصهيوني يسعى كثيراً وخاصة في الآونة الأخيرة لتسريب الأخبار الكاذبة والمواضيع الواهية بهدف ترويج أفكار مسمومة بين المسلمين». كما نفى السفير الإيراني لدى منظمة «اليونسكو» أحمد جلالي أنباءً

---

(59) «الرأي العام»، الكويت، 1997/12/21، نقلاً عن نوريت أراد وآخرون، في «يديعوت أحرونوت» 1997/12/10.

(60) «القدس العربي»، لندن، 1998/1/18.

صحفية عن لقاءه في المغرب مع الحاخام دورون على هامش ندوة «حوار الأديان من أجل ثقافة السلام» التي عقدتها «اليونسكو» في مدينة الرباط برعاية الملك الحسن الثاني معتبراً أن هذه الرواية من نسج الخيال[61].

لكن أنباءً صحفية أكدت لقاء جلالي-دورون ونقلت عن جلالي وصفه للقاء بأنه «ديني بحت» ووصف دورون له بأنه «لقاء تاريخي وإذا توفرت النوايا الحسنة يمكن لإسرائيل وإيران إضفاء طابع رسمي على الحوار بينهما». يذكر أن دورون طلب من الحكومة الإيرانية المطالب التالية: السماح له بزيارة طهران والمدن الإيرانية التي توجد فيها جاليات يهودية في إيران، السماح لمكتبه بتدريب رجال دين يهود وسط الجالية اليهودية في إيران، السماح للمفكرين الإيرانيين اليهود بالاتصال المباشر والمنتظم بالجاليات اليهودية الأخرى مع القيام بدور في تطوير «اللاهوت» و «الفلسفة اليهودية»[62].

وإثر زيارة قام بها روبرت مردوخ صاحب شركة «ستارتي-في» الأميركية لإيران، ثارت ضجة حول هذه الزيارة داخل إيران وتم وصف مردوخ بأنه «صهيوني معروف في أميركا وهو يهودي من أصل استرالي». اجتمع خلال زيارته لإيران مع مسؤولين إعلاميين إيرانيين، وخصوصاً مدير التلفزيون الإيراني المسؤول عن القسم الخارجي. ويذكر أن مؤسسة التلفزيون الإيرانية تتبع لمكتب مرشد الثورة، قد اضطرت إلى إصدار توضيح في صحيفة «فردا» (الغد) أكدت فيه أن اللقاء مع مردوخ عُقد إثر إلحاح مندوب إيران لدى الأمم المتحدة نجاد حسينيان. وجاء في التوضيح أن حسينيان أكد أن مردوخ «مسيحي وليس يهودياً موالياً للكيان الصهيوني». لكن الأمين العام

---

[61] «الشرق الأوسط»، لندن، 1998/2/19.

[62] «الشرق الأوسط»، لندن، 1998/2/21.

لمجلس صيانة الدستور، أحد فقهاء مجلس خبراء القيادة آية الله أحمد جنتي انتقد ذهاب وإياب بعض الإسرائيليين والأميركيين إلى إيران وتساءل في خطبة يوم الجمعة في 1998/5/29 «هل من المفروض أن ننسى مبدأ لا شرقية ولا غربية، وهل أميركا باتت تتصرف معنا بود أم تريدون تحسين الوضع الاقتصادي لإيران». هذه الأقوال نفتها وزارة الخارجية الإيرانية واعتبرت أن تصريحات آية الله أحمد جنتي «خطأً في اللفظ» مؤكدة أنها «لم ولن» تمنح تأشيرة دخول لأي إسرائيلي، وشددت على أنها لا تتبع «سياسة» منح تأشيرات للأميركيين من دون شروط أو ضوابط[63].

ومما يكبح من تأثير حملات التشكيك الإسرائيلية بمواقف الجمهورية الإسلامية في إيران إزاء القضية الفلسطينية يتمثل في وجود الموقف التاريخي لرجال الدين الإيرانيين من الصهيونية الذي تحول إلى سياسة رسمية لإيران بعد قيام الجمهورية الإسلامية.

كما أن التحولات التي تشهدها إيران على صعيد مؤسسات الحكم فيها لمواجهة التحديات الخارجية والداخلية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تشير إلى وجود إمكانية لإعادة العلاقات بين طهران وتل أبيب إلى سابق عهدها في زمن حكم آل بهلوي، إذ أن وجود مثل هذه الإمكانية واقعياً وعملياً مرتبط موضوعياً بعوامل إقليمية ودولية وبحدوث تغير جوهري في علاقات إيران مع محيطها الإقليمي العربي والإسلامي وهذا التغير لا توجد مؤشرات على حدوثه في المستقبل القريب أو البعيد. وذاتياً لا توجد مؤشرات موضوعية على أن الاستحقاقات الإيرانية الداخلية لعهد الانفتاح والتغيير ستؤدي إلى حدوث انقلاب إيديولوجي على الأسس التي تقوم عليها الجمهورية الإسلامية في إيران.

---

(63) «الحياة»، لندن، 1998/5/31.

خاتمة

البحث في التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها أوضاع أقلية يهودية في بلد إسلامي له مكانته وثقله الجيوبولتيكي ماضياً وحاضراً مثل إيران، يشكل اختباراً صعباً للباحث في مواجهة تحولات كبيرة وهامة يشهدها العالم في نهاية القرن العشرين، وتجري وسط حالة من المراوحة النسبية في عملية تبلور ملامح نظامين دوليين جديدين هما: نظام عالمي متعدد الأقطاب، ونظام القطب الواحد الذي يبدو أن عملية تبلوره وإرساء أسسه بشكل حاسم أسرع من عملية تبلور النظام الآخر، إذ أن استحقاقات «العولمة» أو «أمركة» العالم، بالنسبة للشعوب والدول، ستمس بالضرورة الأسس والبنى الفكرية والأيديولوجية والدينية والسياسية والحضارية لهذه الدول وفي مقدمتها الدول العربية والدول الإسلامية ومن بينها إيران. بينما تظهر إسرائيل ، في المقابل، وبحكم ارتباطها بالغرب الأميركي والأوروبي فلسفياً وفكرياً، قادرة على التكيف مع الواقع المعولم الجديد وأيضاً مع احتمال قيام نظام عالمي متعدد الأقطاب، ولتعزيز قدرتها هذه تظهر نفسها بمظهر الداعي إلى مواكبة التغييرات الحاصلة وتسوية الصراع في منطقة الشرق الأوسط والدخول إلى قرن جديد من السلام والعلاقات الطبيعية مع سائر الدول لكن بعد أداء هذه الدول وخاصة العربية والإسلامية مثل إيران لاستحقاقات السلام المنشود، وهي استحقاقات لا بد أن تؤدي إلى تغييرات دراماتيكية في البنى المؤسساتية والأيديولوجية التي تقوم عليها، وهذه التغيرات وفق الرؤية الإسرائيلية يجب أن لا تنعكس سلباً على أوضاع اليهود في تلك البلدان، ولذلك تسعى إسرائيل إلى جعل يهود تلك البلدان ذريعة أو مدخلاً لفرض إملاءاتها وشروطها لتهديد أو احتواء سياسات الدول التي تناصبها

العداء كإيران. وتستثمر في هذا السبيل نجاحها في عقد اتفاقات تسوية مع بعض الدول العربية ومع منظمة التحرير الفلسطينية مثل: اتفاقيات كامب ديفيد، ووادي عربة، واتفاق أوسلو وملحقاته.

استناداً إلى هذا الواقع والمسارات السياسية والتاريخية التي أفضت إليه، وإسقاطاته على واقع اليهود في إيران وارتباط واقعهم بأوضاع الدولة الإيرانية ومؤسسات حكمها الدينية-السياسية، يبدو أنه لا تتوفر الرغبة والمصلحة ليهود إيران للتحول إلى جالية إسرائيلية في إيران أو قيامهم بأي دور لتهويد السلطة في إيران. وبالتالي تُظهر الأقلية اليهودية في إيران ممانعة ذاتية في التحول إلى جماعة يهودية وظيفية أي جماعة تؤدي دوراً لمصلحة إسرائيل، كأن تكون جسراً بين تل أبيب وطهران.

وتتعمق هذه الممانعة اليهودية الذاتية على خلفية وجود خلافات «دينية - مذهبية» بين يهود إيران وحاخامية اليهود الشرقيين (السفارديم) في إسرائيل علاوة على الخلافات مع حاخامية اليهود الغربيين (الإشكناز). وهي خلافات تتجذر في بيئة محلية إيرانية لا تتوفر مؤشرات هامة حتى الوقت الراهن على أنها ستنتج في نهاية المطاف مسألة يهودية في إيران. وغياب هذه المؤشرات لا يعيق الإسرائيليين عن محاولة «فبركة» مسألة يهودية في إيران لتحقيق جملة من الأهداف لا تتمحور فقط حول تهجير ما تبقى من اليهود في إيران إلى إسرائيل بل هي أهداف استراتيجية تتمحور حول تفكيك البنية الاجتماعية الإيرانية عن طريق إثارة مسألة الأقليات في إيران فنجاح أي جهد إسرائيلي في إثارة مسألة الأقلية اليهودية في إيران سيشكل نموذجاً يحتذى للأقليات القومية والإثنية الأخرى الموجودة في إيران مثل: الأتراك الأذربيجانيون والأكراد والعرب، لإثارة نزعات داخلية خامدة، هي نزعات عمل دستور الجمهورية الإسلامية على معالجتها جذرياً من خلال منحه الأقليات القومية والدينية حقوقاً تنسجم وطبيعة المجتمع الإيراني وبما يكفل وحدة وتطور هذا المجتمع الذي قطع شوطاً كبيراً في التحول إلى مجتمع مدني تحت وطأة حالة

حراك اجتماعي وسياسي واقتصادي مازالت مستمرة. وفي سياق هذه الحالة وعلى خلفية المقارنة الأولية بين أوضاع اليهود في العهد الشاهنشاهي وأوضاعهم في العهد الجمهوري الإسلامي اتضح لنا من خلال استعراضنا وتحليلنا لتطور أوضاع يهود إيران في الفصل الأول من الكتاب، عدم وجود إمكانية فعلية لظهور مسألة يهودية في إيران وكذلك غياب أو ضعف إمكانية تحول يهود إيران إلى «اسفنجة» لامتصاص تناقضات المجتمع الإيراني أو امتلاكهم نفوذا يضعهم في مواجهة مع القوى المكونة لهذا المجتمع. وتزداد هذه الإمكانية ضعفا بوجود عامل ديني هامشي يعبر بهشاشته عن غياب المصلحة والرغبة لدى يهود إيران في ربط أوضاعهم ومصيرهم بإسرائيل التي لا تشكل بالنسبة لهم «ملاذا آمنا» أو كيانا نموذجيا يغريهم بالهجرة إليه، وهذا ما دللت عليه معطيات الفصل الثاني.

وفي الفصلين الثالث والرابع وعلى خلفية المقارنة بين مواقف الدولة الإيرانية في العهدين الشاهنشاهي والجمهوري الإسلامي من القضية الفلسطينية وإسرائيل في محطات تاريخية مختلفة ترجع إلى ما قبل ظهور الصراع العربي – الصهيوني تبين انتقال تلك المواقف من حالة التناقض بين السياستين الخارجية والداخلية إلى حالة الانسجام بينهما بما يحقق حالة الاستقرار الداخلي وأداء دور إقليمي خارجي على قاعدة التعاون مع الجوار الإقليمي في مواجهة القوى الإقليمية والدولية (إسرائيل، الولايات المتحدة الأميركية) الساعية إلى إدامة حالة التوتر والصراع في الشرق الأوسط تحت يافطة الحرص على استقرار منطقة الشرق الأوسط هذا الاستقرار الذي تحاول فرضه عن طريق تشكيلات ونظم إقليمية أمنية تلعب فيها إسرائيل دورا مركزيا.

المراجع

أ- الكتب:

- د.موسى الموسوي، إيران في ربع قرن، 1970، دار ومكان النشر غير مذكورين.
- فريد هوليداي، مقدمات الثورة في إيران، دار ابن خلدون، بيروت 1979.
- طلال المجذوب، إيران من الثورة الدستورية حتى الثورة الإسلامية، دار ابن رشد، بيروت، 1980.
- دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق 1985.
- د. عبد الوهاب المسيري، «موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية»، رؤية نقدية، مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية (الأهرام)، القاهرة 1975.
- د. عبد الجليل شلبي، «اليهود واليهودية»، دار أخبار اليوم، القاهرة 1997.
- شموئيل سيغف، «المثلث الإيراني، العلاقات السرية الإسرائيلية- الإيرانية- الأميركية»، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، طبعة أولى 1983.
- صموئيل أتينجر وآخرون، «اليهود في البلدان الإسلامية» 1850-1950، ترجمة د. جمال الرفاعي، مراجعة د. رشاد الشامي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 197، أيار 1995.

- أحمد وليد سراج الدين،«البهائية والنظام العالمي الجديد، وحدة الأديـــان والحكومة العالمية»، الجزء الثاني، دار إشبيلية للدراســـات والنشـــر، دمشق 1994.
- ي، سندلير، يهود إيران، دار القبس، الكويت 1985.
- اليهود في إيران، مركز الدراسات الفلسطينية، دمشق 1988.
- Institute of Jewish Affairs, The Jewish Communities of the World, 1971.
- د. علي أكبر ولايتي،«إيران وفلسطين (1897–1937) جذور العلاقـــة وتقلبات السياسة»، ترجمة سالم مشكور، دار الحق، بيروت، الطبعـــة الأولى 1997.
- صلاح عبد الله (تعريب)، «صورة إيران في الإعـــلام الإســـرائيلي»، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت 1997.
- الياس سعد، «الهجـــرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة»، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت 1969.
- وليم فهمي، «الهجرة اليهودية إلى فلسطين»، الهيئة المصريـــة العامـــة للكتاب، القاهرة، 1974.
- تيسير النابلسي، حركة الهجرة اليهودية بعـــد عـــدوان 1967، مركـــز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت 1971.
- صبري جريس وأحمد خليفة وآخرون، «دليل إسرائيل العام»، مؤسســـة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1996.
- مأمون كيوان، «اليهود في الشرق الأوسط الخروج الأخير من الغيتـــو الجديد»، دار الأهلية، عمان 1996.
- أنيس صايغ (تحرير)، غازي دانيـــال (إعـــداد)، «رجـــال السياســـة الإسرائيليون»، مركز الأبحاث، م.ت.ف، بيروت 1970.
- سعيد تيم، «النظام السياسي الإسرائيلي»، دار الجليـــل (بـــيروت)، دار الأهلية (عمان) طبعة أولى 1989.

- مجموعة مؤلفين وباحثين، «العلاقات العربية- الإيرانية الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل» (أعمال ندوة) مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة أولى 1996.
- الإمام الخميني والقضية الفلسطينية، منشورات العروة الوثقى، بيروت، الطبعة الأولى نيسان 1979.
- فهمي هويدي، «إيران من الداخل»،مركز الأهرام للترجمة والنشر، طبعة رابعة، القاهرة 1991.
- أحمد سامح الخالدي وحسين جعفر آغا، «سوريا وإيران تنافس وتعاون» ترجمة عدنان حسين، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1997.
- الوجه الآخر لإيران، وزارة الإعلام العراقية، بغداد 1972.
- حسن الزين، «الثورة الإيرانية في أبعادها الفكرية والاجتماعية 1978- 1979»، إصدار المؤلف، توزيع دار النهار، بيروت 1979.
- شموئيل سيغف، «المثلث الإيراني، دراما العلاقات الإيرانية- الإسرائيلية- الأميركية»، ترجمة دار الجليل للنشر، عمان، طبعة أولى 1990.
- الإمام القائد في مواجهة الصهيونية، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، الطبعة الثانية 1404 هجرية.

ب- المجلات والدوريات ونشرات:

- «شؤون الأوسط»، العدد (54) آب 1996.
- «السياسة الدولية»، العدد (130) تشرين الأول 1997.
- «الأرض»، العدد (12) كانون أول 1993.
- «شؤون فلسطينية»، العدد 239/238 كانون الثاني/ شباط 1993.
- «الأرض»، العدد (11) [illegible] 1979.

- «الأرض»، العددان (1-2) كانون الثاني- شباط 1994.
- «الثقافة الإسلامية»، العدد (48) آذار- نيسان 1993.
- «معلومات دولية»، السنة الخامسة، العدد (55) كانون الأول 1997.
- «شؤون فلسطينية»، العدد 88/87 شباط آذار 1979.
- «الحوادث»، 1979/9/13.
- نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1971/12/1.
- النشرة اليومية عن الصحافة الإسرائيلية 1986/11/24.

جـ-الصحف:

- «القبس»، الكويت، 1989 (أعداد متفرقة).
- «السفير»، بيروت، 1997/5/24، 1996/7/20، 1998/5/12، 1997/6/4، 1995/9/20، 1995/9/21، 1997/4/10، 1998/1/16.
- «النهار»، بيروت، 1998/4/17.
- «الحياة»، لندن، 1998/6/15، 1997/5/24، 1998/4/22، 1997/6/2، 1998/7/17، 1998/5/31.
- «الكفاح العربي»، بيروت، 1998/1/1، 1997/10/9.
- «الديار»، بيروت، 1998/6/2.
- «الشرق الأوسط»، لندن، 1998/2/21، 1998/2/4، 1998/2/19.
- «القدس العربي»، لندن، 1998/1/18، 1998/7/19، 1998/6/18، 1998/6/26.
- «الرأي»، عمان، 1997/8/21.
- «الرأي العام»، الكويت، 1987/9/30، 1997/12/21.
- «الثورة»، دمشق، 1998/6/21.

المحتويات